

قصة " الفافن إس إس "

سلاح سرايا الدفاع

لـ : ليون ديجريل

ترجمة

ياسين عبدالله

مقدمة

أنتم على وشك الإطلاع على كلمات ليون ديجريل في مقابلة مسجلة معه عام 1982 و الذي كان – قبل الحرب العالمية الثانية – أصغر قائد سياسي في أوربا و مؤسس حزب " الريكست " البلجيكي ، و في خضم ذلك التحدي الهائج إبان الحرب العالمية الثانية كان أحد أعظم الأبطال على الجبهة الشرقية وقد قال هتلر عنه : " لو كان لدي إبن ، لتمنيت أن يكون مثل ليون "

و بإعتباره رجل دولة و جندي كان على مقربة من هتلر و موسوليني و تشرشل و فرانكو و لافال و المارشال بيتان و كل القادة الأوربيين في هذا الصدام الأيديولوجي و العسكري الضخم و المسمى بـ " الحرب العالمية الثانية " ، و هو الوحيد منهم الذي ظل على قيد الحياة و أصبح الشاهد الأول على تلك الحقبة التاريخية .

بدأت حياة ليون ديجريل بمولده في 1906 في " بوليون " و هي مدينة صغيرة في غابات الأردين البلجيكية ، و لعائلته أصول فرنسية . درس ليون في جامعة " لوفين " حيث حاز على درجة الدكتوراه في القانون و كان مهتماً بالمجالات العلمية الخرى مثل علم الآثار و السياسة و و الفلسفة .

و خلال حياته الدراسية بدأت سماته القيادية في التجلي ، و عندما بلغ العشرين كان قد ألف حوالي خمسة كتب و كان يدير جريدته الأسبوعية الخاصة . و قد إنضم للحركة الكاثوليكية البلجيكية بسبب تدينه المسيحي العميق و أصبح أحد قادتها ، لكن عشقه الأساسي كان تجاه البشر فقد أحب ليون أن يحوز قلوب الحشود و خاصة الماركسيين و أرادهم أن يشاركوه أفكاره المثالية حول الإشتراكية و التغيير المعنوي للمجتمع . و أراد أن يتقدم بالناس كي يصل بهم لدولة مستقرة و مسئولة ، دولة يقودها حس الخير لدي البشر و تقود لمنفعتهم .

و قد عقد قرابة ألفا إجتماع و كلها جدلية تعتمد على المناظرات محوراً لها ، كانت كتبه و صحيفته تقرأ في كل مكان لأنها تعاملت مع قضايا حقيقية ، ورغم أنه لم يبلغ الخامسة و العشرين إلا أن الناس كانوا يصغون إليه و كانت كلمته مسموعة لديهم .

و في سنوات قليلة تكمن من جذب جزء كبير من الشعب لجانبه . في الرابع و العشرين من مايو 1936 فاز حزبه " الريكست " على الأحزاب الأخرى محققاً نصراً إنتخابياً ساحقاً تمثل في 34 مقعداً برلمانياً .

كانت أوربا في عام 1936 مقسمة إلى دول صغيرة متجاورة و ذات ماضٍ مشترك تقريباً . لكن نظرة ليون ديجريل كانت أبعد من ذلك ، ففي أيام دراسته سافر لأمريكا اللاتينية و الولايات المتحدة و كندا و شمال أفريقيا و الشرق الوسط و كل دول أوربا تقريباً ، و شعر أن أوربا لها قدر واحد و يجب توحيدها . و لقد إستقبله موسوليني في روما و قابله تشرشل في لندن و إستقبله هتلر في برلين .

واضعاً حياته السياسية على المحك ، حاول ليون بشتى الطرق منع أوربا من الإنزلاق في حرب جديدة ، و لكن تم إستغلال العداوات القديمة و الكراهية المتبادلة بين ألمانيا و فرنسا بمهارة فائقة .و قد عملت الأحزاب التقليدية و الشيوعية في جانب واحد معاً نحو الحرب . أما بالنسبة للكريملين فقد كانت فرصة سانحة لنشر الشيوعية في أوربا .

و من ثم إندلعت الحرب ، أولاً في بولندا ثم في أوربا الغربية في1940 و تطورت للحرب العالمية الثانية في 1941 . و في فترة وجيزة خفق علم الصليب المعقوف " السواستيكا " عالياً من القطب الشمالي و حتى شواطئ اليونان و حدود أسبانيا . لكن إستمرت الحرب الأهلية الأوربية بين ألمانيا و بريطانيا . و تهيأ قادة الشيوعية للتحرك و إلتقاط زهر النرد . لكن هتلر هزمهم و غزا الإتحاد السوفييتي في 22 يونيه 1941 ، و بالنسبة لأوربا فقد غمض عليها الأمر حول المنتصر ، فإما هتلر أو ستالين ؟

ترسخ في عقول آلاف الشباب في أوربا حينها أن مصائر أممهم كانت على المحك و كان عليهم التطوع لمحاربة الشيوعية و إنشاء" أوربا الموحدة " . و بشكل عام ، فقد نما عددهم وبلغوا قرابة الستمائة ألف مقاتل غير ألماني يقاتلون على الجبهة الشرقية و جلبوا كثيراً من الشرف لسلاح سرايا الدفاع " فافن إس إس " .

كان سلاح سرايا الدفاع " فافن إس إس " صدمة عسكرية و أيديولوجية لأوربا ، وكان الألمان أقلية في هذا السلاح حيث بلغ عددهم أربعمائة ألف مقاتل . شكل سلاح سرايا الدفاع بمقاتليه

المليون أول جيش أوربي حقيقي في التاريخ . كلهم قاتلوا كتفاً إلى كتف ، كلهم أصبحوا أخوة في السلاح .

و كانت من أهم الظواهر السياسية و العسكرية في الحرب العالمية الثانية هي ظاهرة سلاح سرايا الدفاع .

كان ليون ديجريل أحد أشهر جنود سلاح سرايا الدفاع ، فبعد إلتحاقه بها كجندي تقلد كل الرتب من عريف حتى لواء لشجاعته الإشتثنائية في القتال و دخل في خمسة و سبعين إلتحام جسدي و أصيب مرات عديدة . و تقلد أعلى أوسمة و هي : الرايتركروز – وسام صليب الفارس محاطاً بأوراق البلوط - وسام أوراق البلوط و وسام الصليب الذهبي الألماني و غيرها الكثير من الأوسمة العسكرية لشجاعته أمام العدو .

و كان ليون من أواخر من ظل يقاتل على الجبهة الشرقية و فر من الإستسلام غير المشروط الذي وقعته ألمانيا أمام السوفييت في السابع من مايو 1945 و هرب لمسافة حوالي 1500 ميل عبر أوربا بإتجاه أسبانيا ، و تمكن من النجاة من النيران المتواصلة على طول الطريق حتى وصل لإسبانيا و حط على شاطئ " سان سبستيان " و هو في حالة يرثى لها و ظل هناك حتى توفي بمالقة عام 1994 .

و تمكن من الحياة رغم كل المعوقات و بدأ في تأسيس حياة جديدة في المنفى لنفسه و لعائلته.

بالنسبة لديجريل فإن الفلسفة و السياسة لا يكون لهما وجود بدون المعرفة التاريخية و في رأيه أن الجمال يعزز الناس وهم لا يمكنهم الحياة بدونه . و إنعكست الفلسفة على كل أفعاله و في منزله الأسباني إمتزج الفن بالتاريخ .

كل أعمال ليون كانت ملحمية و يغلب عليها الطابع الشعري فعندما كان يسير في البيئة المحيطة بمنزله كان يستشعر عظمة روما بلآلئها و برونزها و زجاجها الممرد و يستشعر المعمار العربي و فنون عصر النهضة الأوربية .

في هذا الجو من الجمال و العظمة ينتظرك آخر شاهد على الحرب العالمية الثانية .

أيها السادة و السيدات إنه الجنرال ليون ديجريل .



الجنرال ليون ديجريل

قصة سلاح سرايا الدفاع

بداية نشأة السلاح :

يقول الجنرال ليون ديجريل :

" أيها السادة و السيدات طُلب مني أروي لكم شيئاً غير معروف عن الحرب العالمية الثانية و هو : سلاح سرايا الدفاع . لقد كان تنظيماً سياسياً و عسكرياً مذهلاً توحد تحت لوائه خلال الحرب العالمية الثانية حوالي مليون متطوع ، هل من المعقول أن يتم تجاهله ؟ لماذا ؟

لماذا الإصرار على تجاهل السجل المشرف لهذا الجيش الإستثنائي من المتطوعين ؟ و هو جيش كان في قلب دوامة ذلك الصراع العظيم مؤثراً على العالم كله .

قد تكمن الإجابة في أن أكثر سمة صادمة في سلاح سرايا الدفاع و هو أنه تشكل من متطوعين من أكثر من ثلاثين دولة مختلفة .

أي سبب جمعهم و لماذا تطوعوا بحياتهم ؟ هل كانت الظاهرة الألمانية ؟ في البداية أجل .فبداية تشكل سلاح سرايا الدفاع من قرابة 200 ألف جندي و زاد العدد تدريجياً منذ 1940 عندما دخل مرحلته الثانية : سرايا الدفاع الجرمانية ، فضم إلى جانب الألمان مواطني شمال غرب أوربا و كل من ينحدر من الشعوب الجرمانية .

ثم في 1941 و أثناء الصراع الكبير مع الإتحاد السوفييتي نهض سرح سرايا الدفاع حيث قاتل شباب من بلدان بعيدة معاً على الجبهة الروسية .

لم يكن أحد يعرف شيئاً عن سلاح سرايا الدفاع في الفترة السابقة على الحرب . الألمان أنفسهم أخذوا وقتاً حتى إستطاعوا تمييز سرايا الدفاع .

وصل هتلر للمستشارية عبر طريق ديمقراطي بالفوز في الصندوق الشفاف ، و أدار حملته الإنتخابية كأي سياسي ، فعقد الإجتماعات و صمم الدعايا و الإعلانات و جذبت رسالته عدد كبير من الحشود . أعجب كثير من الناس بما كان يقوله ، و كثير منهم صوتوا لصالح حزبه . لم يصل هتلر للسلطة بالقوة بل إنتخب ديمقراطياً بواسطة الشعب كمستشار و عينه رئيس ألمانيا الجنرال فون هيندنبرج في هذا المنصب إقراراً لإختيار الشعب . كانت حكومته شرعية و ديمقراطية . في الواقع إثنان فقط من أعضاء حزبه كانوا في الحكومة . و بعد ذلك نجح في أي إنتخابات لاحقة و زادت الأغلبية التي حصل عليها حيث حصل في بعضها على 90 % من الأصوات عن جدارة .

خلال حملاته الدعائية واجه هتلر خصوماً كثر : قوة السياسيين التقليديين التي لا يؤنبها أي ضمير عند التدخل في سير العملية الإنتخابية و مؤسسة جمهورية " ويمار " و أحزابها اليسارية و الليبرالية الممولة جيداً و الكتلة المنظمة جيداً للحزب الشيوعي ذي الستة مليون عضو . فقط نضاله الشجاع و الفياض هو ما شجع الناس على التصويت له ممكناً إياه من الحصول على أغلبية ديمقراطية .

في تلك الأيام لم يكن سلاح سرايا الدفاع عاملاً موجوداً حتى ، كانت هناك بالطبع كتائب العاصفة المكونة من ثلاثة ملايين رجل و كانوا بالأساس أعضاء في حزب العمال الوطني الإشتراكي الألماني و لم يكونوا جيشاً بمعنى الكلمة .و كانت وظيفتهم الأساسية حماية المرشحين من عنف الشيوعيين الذي كان قاتلاً ، فحوالي خمسمائة إشتراكي وطني تم قتله على يد الشيوعيين و أصيب الآلاف منهم .

كانت كتائب العاصفة منظمة تطوعية غير حكومية و لما وصل هتلر للسلطة لم يستطع اللجوء لمساعدتها إذ كان عليه الخضوع للنظام الذي يعمل لأجله و هو ما لم يكن ميزة في صالحه إذ كان عليه العمل مع بيروقراطية يقودها رجل عجوز و نظام قديم . في الحقيقة عندما إندلعت الحرب في 1939 كان 70 % من البيروقراطيين الألمان العاملين بجهاز الدولة الإداري معينين من قبل النظام القديم و ليس هتلر .

لم يكن هتلر ليعتمد على دعم الكنيسة . و كان كلاً من ذوي المصالح و الشيوعيين ضد برامجه تماماً . و فوق ما سبق وجد الفقر المدقع و بطالة ستة ملايين عامل . لم تعرف أية دولة أوربية مثل هذا العدد من العاطلين من قبل .

و بلغت العداوة مداها حيث واجه هتلر معضلة موجعة تمثلت في كيفية التصرف مع ملايين الأتباع الذين أوصلوه للسلطة ، فلم يكن بمقدوره أن يهجرهم .

كان الجيش مركز قوة عالي التنظيم الهيكلي . و رغم كونه لا يتجاوز المئة ألف مقاتل وفقاً لقيود معاهدة فرساي إلا أنه كان له تأثير قوي على شئون الدولة .و كان رئيس ألمانيا هو الفيلد مارشال فون هيندنبرج . و شكل طائفة مميزة فكان كل الضباط ينتمون للطبقة العليا في المجتمع .

كان مستحيلاً على هتلر تحدي الجيش القوي ، حيث كان هتلر منتخباً بشكل ديقراطي و لم يكن قادراً على فعل ما فعله ستالين من قبل - من القضاء على قادة الجيش رمياً بالرصاص بواسطة كتائب إعدام فقتل ستالين 30 ألف ضابط عالي الرتبة في الجيش الأحمر و كانت هذه طريقة ستالين لإفساح الطريق للكوميسارات – رتبة عسكرية سوفييتية – الموالين له . مثل هذه الوسائل لا يجب أن تتخذ في ألمانيا . و بعكس ستالين كان هتلر محاطاً بأعداء دوليين .

فقد أثار إنتخابه غضباً دولياً ، حيث توجه هتلر نحو الناخبين مباشرة دون وساطة من الأحزاب المؤسسية ، و إستند حزبه على دعامة نقاء العرق الألماني إلى جانب سعيه للوصول إلى السلطة . تلك التصرفات أثارت حنق اليهودية العالمية ضد هتلر حتى أعلنت الحرب رسمياً على ألمانيا في 1933 .

و بالمخالفة لما أُخبر به الفرد عن إنفراد هتلر بالسلطة بشكل مطلق كيف أمكن لهذا الرجل تحمل سنين التحدي الأولى ؟ فقط حقيقة العبقرية الإستثنائية لهتلر تجيب على ذلك و توضح كيف تغلب هتلر على كل تلك المعوقات .

و رغم كل مجهوداته تم إقتياد هتلر تدريجياً لمأزق ، فقد بلغ العداء أوجه بين كتائب العاصفة و الجيش ، فقد أراد رفيقه السابق إرنست روهم أن يحذو حذو ستالين و يصفي قادة الجيش جسدياً . لكن توفي روهم – سواء منتحراً أو مقتولاً – و معه عدد من مساعديه و إلتقط الجيش زهر النرد و أعاد كتائب العاصفة لوضعها الطبيعي .

في ذلك الوقت فرقة سرايا الدفاع الوحيدة التي تم تأسيسها كانت حرس هتلر الشخصي و عددهم مئة و ثمانون مقاتلاً فقط . و كانوا شباباً بصفات إستثنائية و لكن بلا أي دور سياسي . إنصبت واجباتم على حماية المستشارية و القيام بدور التشريفة للوفود الزائرة .

كانت تلك مجموعة صغيرة من مئة و ثمانين مقاتلاً و التي أصبحت بعد سنوات قليلة مكونة من مليون مقاتل شكلوا جيشاً ذي قيمة غير مسبوقة و شمل نداؤه كل أوربا .

بعدما عرف هتلر تفوق الجيش أدرك أن قيادته لن تدعم أبداً برامجه الإجتماعية الثورية ، فقد كان جيشاً من الأرستقراط .



هتلر و الرئيس هيدنبرج

إصلاحات هتلر

كان هتلر رجلاً لشعبه ، فقد أزال البطالة تماماً فخلال عامين نجح في توظيف ستة ملايين عاطل ألماني و قضى على الفقر المدقع . في خمس سنوات فقط تضاعف دخل العامل الألماني بدون أي تضخم .

تم بناء مئات الآلاف من المنازل الجميلة للعمال الألمان بأقل تكلفة . كل منزل ملحق به حديقة لزراعة الورود و الفاكهة . كل المصانع تم تزويدها بملاعب رياضية و حمامات سباحة و ورش جذابة و منتجة .

تم تقديم نظام الأجازة مدفوعة الأجر لأول مرة ، فكلاً من الشيوعيين و الرأسماليين لم يقدموا مثل هذا النظام أبداً بل كان هتلر هو من إبتدع ذلك . نظم هتلر البرنامج الشهير بإسم " القوة من خلال المتعة " و الذي تضمن إمكانية سفر العامل للأستجمام بواسطة السفن حول العالم بأسعار معقولة .

لم ترق كل هذه الإصلاحات الإجتماعية للنخبة التقليدية ، و أصيب كبار رجال الأعمال و رجال المصارف الدولية بالقلق . لكن هتلر وقف لهم بالمرصاد فقرر أن رجل الأعمال يمكنه أن يربح فقط إن منح أجوراً مناسبة و سمح للعمال بالعيش في كرامة و مستوى لائق . فالشعب - و ليس الربح – يأتي في المقام الأول .

كان ذلك واحداً فقط من إصلاحات هتلر حيث أنجز المئات غيره فهو بالفعل أعاد بناء ألمانيا . خلال سنوات تم بناء أكثر من خمسة آلاف ميل من الطرق السريعة . و تم تأسيس شركة " فولكس فاجن " – أي سيارة الشعب – لتزويد العمال بالسيارات بأسعار معقولة ، فأمكن للعامل شراء سيارة بخمسة ماركات فقط في الأسبوع . كان ذلك غير مسبوق في أوربا . بفضل تلك الطرق السريعة أمكن للعامل الألماني و لأول مرة زيارة أي منطقة ألمانية في أي وقت . ذات البرامج تم تطبيقها على الفلاحين و الطبقة الوسطى .

أدرك هتلر أنه لحماية إصلاحاته من أي تخريب فهو في حاجة لأداة حماية قوية و ذات هيبة . لم يكن بمقدور هتلر مواجهة قادة الجيش لكن بمهارة شديدة بدأ في تأسيس سرايا الدفاع ، و هو يحتاجها لأنه - فوق أي إعتبار – كان رجل سياسة فبالنسبة له كانت الحرب الخيار الأخير . و كان هدفه إقناع الناس ليحصل على ولائهم و خصوصاً جيل الشباب .

كان هتلر يعلم أن النخبة التقليدية ذات العقل الضيق ستعارضه في كل خطوة يخطوها ، و كان محقاً حيث حاولت تلك النخبة عبر قادة الجيش الكبار الإطاحة بحكومة هتلر المنتخبة ديمقراطياً و المعروفة بإسم " مؤامرة ميونيخ " و تم التوصل للمتآمرين في الوقت المناسب . حدث ذلك في 1938 .

في 20 يوليه 1944 كان هتلر ليفقد حياته عندما وضع ضباط منتمون للطبقة الأرستقراطية قنبلة تحت المنضدة – العملية فالكيري.

و كي لا ينتبه الجيش كلف هتلر سرايا الدفاع بمهمة حفظ النظام و القانون ، كانت هناك بالطبع شرطة ألمانية لكن هتلر لم يكن يثق بهم ، فالمئة و خمسون ألف شرطي عينهم نظام " ويمار " . لم يحتج هتلر لسرايا الدفاع فقط لكشف المؤامرات بل أيضاً لحماية إصلاحاته حيث أنشأ فرقة " ليبستاندرات " من 180 يافع و أنشا فرقاً مماثلة في سائر ألمانيا و بلاد الجرمان .

فعل قادة الجيش كل شئ لمنع تجنيد سرايا الدفاع . تجنب هتلر كل المعوقات بإسناد مهمة تجنيد سرايا الدفاع لوزارة الداخلية و ليس الحربية . عارض الجيش ذلك عبر جعل التجنيد من سن 18 حتى 45 سنة . و أصبح في واقع الأمر يقضي المجند أربع سنوات في الخدمة و ضباط الصف إثنى عشر سنة و الضابط خمس و عشرين سنة .

مثل تلك الأوامر قد تقضي على أي سعي لتجنيد سرايا الدفاع – في إعتقاد مصدريها – و لكن حدث العكس حيث تقدم آلاف الشباب للخدمة و قبلوا بأي شئ في سبيلها رغم المدة الطويلة للخدمة .

شعر الشباب أن سرايا الدفاع هي القوات العسكرية الوحيدة التي تحمل أفكارهم و تجسدها . و أسرت التشكيلات الجديدة من شباب سرايا الدفاع عقول العامة . و بإرتدائهم الزي الأسود جذبت سرايا الدفاع شباباً أكثر فأكثر . و إستغرق الأمر عامين من 1933 و حتى 1935 حتى تقبل الجيش وجود قوة من سرايا الدفاع قوامها 8 آلاف جندي .

في ذلك الوقت لم يكن إسم سلاح سرايا الدفاع موجوداً حتى . تم ذلك في عام 1940 بعد الحملة على فرنسا عندما تمت تسمية سلاح سرايا الدفاع رسمياً . في 1935 كانوا يسمون فقط بـ " سرايا الدفاع " و مع ذلك فإن 8 آلاف جندي لم يحدثوا فرقاً كبيراً مع دولة ذات 80 مليون مواطن ، كما أن هتلر مازالت لديه وسيلة أخرى للإلتفاف حول الجيش فأمر بتشكيل فرق حرس " توتنكوف " ، كانوا في الواقع سرايا دفاع مموهين و كانت مهمتهم الأساسية حماية معسكرات التجميع .

ماذا كانت معسكرات التجميع ؟ كانت فقط معسكرات عمل للسجناء الشيوعيين و كانوا يعاملون بشكل جيد لأن الإعتقاد كان سائداً أنهم سيتحولون عاجلاً أم آجلاً لوطنيين .

كان هناك معسكري تجميع فقط بهما ثلاثة آلاف رجل . ثلاثة آلاف فقط من مجموع ستة ملايين عضو في الحزب الشيوعي . شكل ذلك أقل من 1 من الألفين . لكن زاد العدد بعد الحرب لكنه ظل أقل من عشرة آلاف سجين .

تشكل من حرس " توتنكوف " أربعة أفواج إنضمت لاحقاً لسرايا الدفاع . و شكل حرس توتنكوف صورة جانبية صغيرة في نظام دقيق لتجنيد الإحتياط بهدف إبقاء قوتها غير واضحة .

في بداية الحرب وصل عدد قوات حرس " توتنكوف " لأربعين ألف مقاتل تم توزيعهم على 136 وحدة . في نفس الوقت بلغ عدد فرقة " الليبستاندرت " حوالي 2800 مقاتل عند تأسيسها و تم تشكيل فوج رابع في فيينا عند تحقيق الأنشلوس – الوحدة مع ألمانيا .

الشباب الذين إلتحقوا بسرايا الدفاع تم تدريبهم بشكل لا نظير له في العالم . كانت التعليمات النظرية و العسكرية مكثفة ، لكن تم التركيز أكثر على التدريب البدني ، فمارسوا الرياضات بكل مهارة . كل منهم مارس بمهارة شديدة الألعاب الأوليمبية . التفوق الجسدي الإستثنائي لسرايا الدفاع على الجبهة الروسية - و الذي أذهل العالم – كان بسبب التدريبات المكثفة .

كان هناك أيضاً التدريب الأيديولوجي ، فكان يتم تعليمهم لماذا يقاتلون ؟ و أي صورة لألمانيا تم إحياؤها من القبر أمام أعينهم . وكان يتم تدريسهم كيف كانت ألمانيا موحدة معنوياً من خلال المصالحة الطبقية ، و جسدياً من خلال إعادة الأراضي الألمانية الضائعة . و كانوا على وعي بالقرابة التي تربطهم بالألمان المقيمين في بلاد أجنبية مثل روسيا و بولندا و إقليم السوديت و الأجزاء الأخرى من أوربا . كان يتم تعليمهم ان كل الألمان يمثلون وحدة عرقية واحدة .

شباب سرايا الدفاع كان يتم تدريبهم في أكاديميتين : إحداهما في " بادتويلز " و الأخرى في " براونشفيج " . كانت هاتان الأكاديميتان مختلفتان عن الثكنات العسكرية التقليدية فكانتا تقعان وسط براري الريف الجميلة جامعتين بين الجمال و التكنولوجيا الحديثة .



أفراد سرايا الدفاع في إحدى الثكنات

إرهاصات الحرب

كان هتلر معارضاً لأي حرب خصوصاً في غرب أوربا . بل إنه لم يكن مقتنعاً بقدرة سرايا الدفاع على المشاركة في أي حرب كما أن سرايا الدفاع كانت قوات سياسية الغرض . إعتبر هتلر أن غرب أوربا يعد ثقافة مختلفة يمكن ضمها فيدرالياً – إتحادياً مع حكم ذاتي داخلي – و ليس غزوها . و خشي من تورط الغرب في حرب اهلية لا منتصر فيها .

فكرة هتلر حول أوربا كانت أبعد من أن تنحصر في جيرانه ، فالعقلية الناجمة عن حرب 1914 – 1918 - عندما تحاربت دول صغيرة مع بعضها البعض على الفتات – مازالت سائدة في أوربا عام 1939 . ليس كذلك في الإتحاد السوفييتي عندما حلت الأهداف الدولية محل الوطنية على إعتبار أن الشيوعيين لم يهدفوا لتحقيق مصالح روسيا فقط بل إن الشيوعية سعت للهيمنة العالمية و ليس حصر نفسها في أقاليم محددة .

هذا عامل جديد ، فهذه السياسة الهادفة لغزو العالم ماتزال يعمل بها في فيتنام و أفغانستان و أفريقيا و بولندا . في ذلك الوقت كان ذلك مفهوماً دولياً جديداً و هتلر فقط هو الذي رأى هذا المفهوم كتهديد لكل الأمم على سواء .

تذكر هتلر بشكل واضح الخراب الذي أحدثه الشيوعيون في ألمانيا عقب الحرب العالمية الأولى . و خصوصاً في برلين و بافاريا حيث شكل الشيوعيون بأوامر خارجية دولة داخل الدولة و تولوا الأمور هناك . بالنسبة لهتلر كل الأمور تنصب على الشرق ، فالتهديد كان الشيوعية .

و بعيداً عن عدم إهتمامه بغزو غرب أوربا ، كان هتلر على وعي بأنه غير قادر على الحرب على جبهتين . بمناسبة تلك النقطة بدلاً من ترك الحلفاء هتلر يقاتل الشيوعية قاموا هم بإتخاذ القرار المصيري بمهاجمة ألمانيا . فما يسمى بـ " الديمقراطيات الغربية " تحالفوا مع الإتحاد السوفييتي " السلطوي " من أجل محاصرة و تدمير الحكومة الديمقراطية الألمانية .

بترت معاهدة فرساي ألمانيا من كل الجوانب ، فتم وضعها بحيث تبقي ألمانيا في حالة إنهيار إقتصادي دائم و تهاوي عسكري . و عقد الحلفاء معاهدات عديدة مع بلجيكا و تشيكوسلوفاكيا و يوغوسلافيا المنشأتين حديثاً و بولندا و رومانيا للضغط على ألمانيا من كل الجوانب .

و في صيف 1939 كانت الحكومتان الفرنسية و البريطانية تناقشان عقد تحالف كامل مع الإتحاد السوفييتي . تم عقد المحادثات في موسكو و وقع المارشال جوكوف على المحاضر الرسمية للإجتماعات .

أنا أمتلك تلك المحاضر ، إنها مثيرة للدهشة ، فيمكنك أن تقرأ تقريراً عن ضمان بريطانيا و فرنسا دعم هجوم الإتحاد السوفييتي على ألمانيا . و عقب التصديق كان على الإتحاد السوفييتي تزويد القوات الأنجلو-فرنسية بخمسة آلاف و خمسمائة طائرة مقاتلة على الفور بالإضافة للدعم السوفييتي . ما بين 9000 و 10000 دبابة وجب إتاحتها . في المقابل طلب الإتحاد السوفييتي ضم دول البلطيق و حرية الدخول إلى بولندا . و دعت الخطة لهجوم مبكر مشترك .

كانت ألمانيا قليلة التسليح في تلك المرحلة ، و كان المفاوضون الفرنسيون مدركين أن العشرة آلاف دبابة سوفييتية قادرة على تدمير الألفي دبابة ألمانية ، لكنهم لم يدركوا أنها قد لا تتوقف عند الحدود الفرنسية . أما الحكومة البريطانية فقد كانت على إستعداد لترك الدبابات السوفييتية تستولي على أوربا بما فيها فرنسا .

و مخافة المحاصرة التامة عمد هتلر لعقد سلام مع أحد أطراف الشراكة البريطانية السوفييتية ، فتوجه نحو الحكومة البريطانية و الفرنسية طالباً عقد مفاوضات سلام رسمية . عرض السلام هذا قوبل برفض مهين و إنغمست الصحافة الدولية في حملة كراهية شديدة و غير مسبوقة في التاريخ ضد هتلر . أصلاً من السفاهة إعادة قراءة تلك الصحف اليوم .

عندما قدم هتلر عروض سلام مماثلة للسوفييت فوجئ أنهم أكثر ميلاً لعقد معاهدة سلام معه . في الواقع لم يوقع ستالين المعاهدة لغرض السلام، بل ليمنح أوربا الفرصة لتدمير نفسها في حرب إستنزافية مانحاً نفسه الوقت الذي يحتاجه لبناء قوته العسكرية و تنميتها .

تم الكشف عن نوايا ستالين الحقيقية في محاضر إجتماعات القيادة العليا السوفييتية ، و هي في حوزتي حالياً ، و قرر ستالين دخول الحرب في الوقت الذي يكون فيه هتلر و الأوربيون الغربيون قد أبادوا بعضهم بعضاً . كان لستالين إهتمام بالغ بتحديد الوقت المناسب و بأن يدع الأطراف الأخرى تقاتل أولاً .لقد إطلعت على خططه العسكرية و رأيت كيف أنها تحققت . بحلول 1941 كانت دبابات ستالين العشرة آلاف قد زاد عددها إلى 17999 دبابة ، و في العام التالي أصبح العدد 32 ألف فائقاً عدد الدبابات الألمانية بعشرة أضعاف . و كذلك كان لستالين التفوق في القوات الجوية بعشرة أضعاف .

عندما وقع ستالين الضعيف جداً معاهدة السلام مع هتلر أمر ببناء 96 مطار على الحدود الغربية للإتحاد السوفييتي ، و تم التخطيط لبناء 180 مطار آخر خلال الأعوام اللاحقة . كانت إستراتيجيته واضحة : " كلما تقاتلت الدول الغربية أكثر كلما صارت أضعف ، و كلما إنتظرت مدة أطول كلما صرت أقوى " .

في ظل تلك الظروف المروعة إندلعت الحرب العالمية الثانية . حرب قُدمت للسوفييت على طبق من فضة .

و لوعيه بإستعدادات ستالين ، كان هتلر على علم بأنه سيضطر لمواجهة الشيوعية عاجلاً لا آجلا . و لقتال الشيوعية عليه أن يعتمد تماماً على رجال مخلصين ، رجال سيقاتلون من أجل أيديولوجية في مواجهة أيديولوجية أخرى . كانت سياسة هتلر معارضة أيديولوجية الحرب الطبقية بأيديولوجية التعاون الطبقي .

لاحظ هتلر أن الحرب الطبقية الماركسية لم تجلب الرفاهية للشعب الروسي ، فالعمال الروس تمت كسوتهم بشكل سئ – كما هو الحال الآن – و تمت تغذيتهم و تسكينهم بشكل سئ أيضاً . و دوماً يوجد نقص في إمدادات البضائع المختلفة . و ليومنا هذا فالإسكان في موسكو كابوسي تماماً كما كان قبل الحرب . بالنسبة لهتلر فإن فشل الحرب الطبقية جعل التعاون الطبقي الحل العادل .

لجعل ذلك ممكناً قرر هتلر أن أي طبقة يجب ألا تتعسف ضد الطبقة الأخرى . و حقيقيةً أن الطبقة الغنية الناجمة عن الثورة الصناعية قد أساءت إستخدام مميزاتها و ذلك يرجع إلى أن الإشتراكيين القوميين كانوا إجتماعيين فقط .

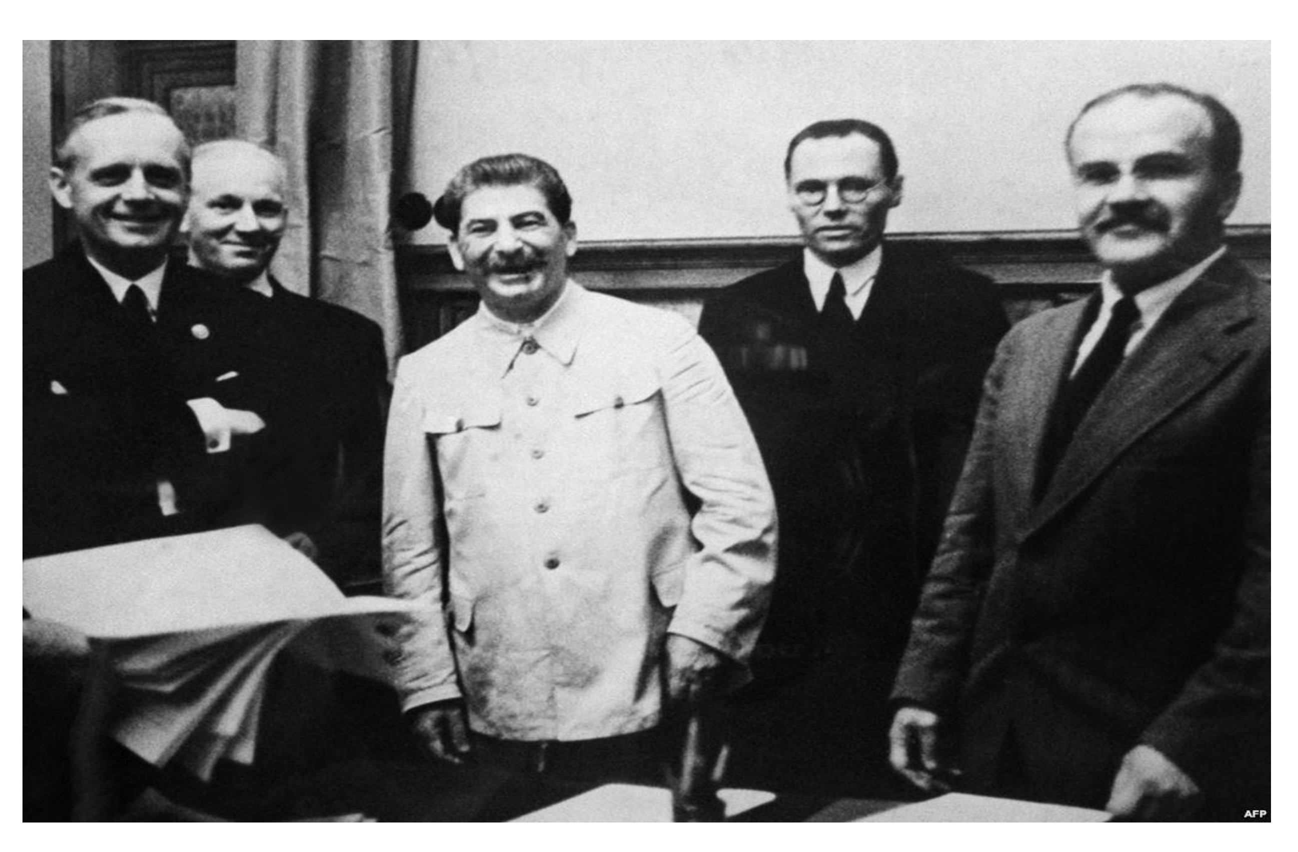
كانت حركة الإشتراكية القومية " الوطنية " حركة شعبية بمعنى الكلمة . و كانت أغلبية الإشتراكيين الوطنيين من ذوي الياقات الزرقاء وكان 70 % من شبيبة هتلر من أبناء العمال ذوي الياقات الزرقاء . و ربح هتلر الإنتخابات لأن الأغلبية العمالية كانت معه قلباً و قالباً .

و من عجائب الأمور أن الستة ملايين شيوعي الذي صوتوا ضد هتلر قد أداروا ظهرهم للشيوعية بعد إنتخاب هتلر عام 1933 . هناك سبب وحيد و هو أنهم شهدوا فوائد التعاون الطبقي . قد يقول البعض أنهم كانوا مجبرين على تقبل التغيير ، هذا ليس حقيقياً ، فهم قاتلوا كباقي الألمان الموالين لمدة أربع سنوات على الجبهة الروسية.

لم يتخلى العمال أبداً عن هتلر ، لكن الطبقة العليا فعلت ذلك . و قدم هتلر تصوره عن التعاون الطبقي كإجابة للشيوعية تجسدت في الكلمات التالية : " إن التعاون الطبقي يعني أن الرأسماليين لن يعاملوا العمال كمجرد مكونات إقتصادية أبداً . إن المال هو جزء واحد فقط من حياتنا الإقتصادية ، و العمال هم أكثر من أن يكونوا مجرد آلات لمن يلقي إليهم بالمال كل أسبوع . أن العمال هم ثروة ألمانيا الحقيقية " .

أحل هتلر العمل محل الذهب كأساس لإقتصاده . كانت الإشتراكية القومية " الوطنية " هي المقابل المضاد للشيوعية . و تبعت الإنتخابات التي فاز بها هتلر إنجازات إستثنائية .

نحن نسمع دوماً عن هتلر و المعسكرات ، هتلر و اليهود ، لكننا لم نسمع أبداً عن نشاطه الإجتماعي الهائل . و كانت الكراهية الموجهة ضد هتلر من المصرفيين الدوليين و الصحافة الموجهة بسبب نشاطه الإجتماعي . أمر قطعي أن أي حركة صادقة مثل الإشتراكية القومية " الوطنية " ستتعارض مع المصالح المالية الأنانية لأصحاب رأس المال . و جعلها هتلر واضحةً أن السيطرة على المال تهدم أي رغبة الإستغلال الجشع لدولة بأكملها بسبب وجود أشخاص يعيشون في الدولة – و بالملايين – لهم الحق في المعيشة بكرامة و حرية . ما قاله هتلر و فعله جعله يكسب الشباب الألماني في صفه . لقد كانت ثورة إجتماعية لدرجة أن سرايا الدفاع كانت مضطرة للإنتشار عبر ألمانيا و حمايتها بحياتهم إن إقتضى الأمر .



الوفد الألماني برئاسة وزير الخارجية روبنتروف في صورة مع الزعيم السوفييتي ستالين

إندلاع الحرب العالمية الثانية

تحدث حرب عام 1939 كل الأسباب في غرب أوربا ، فقد كانت حرباً أهليةً بين أولئك الذين يجب أن يتحدوا ، لقد كانت غباءً بيناً . لقد كان شباب سرايا الدفاع مدربين ليقودوا الثورة الإشتراكية القومية " الوطنية " الجديدة ، و خلال سنوات قليلة سيحلون محل كل من وضعهم النظام السابق في المناصب .

و لكن عند بدء الحرب لم يكن ممكناً لهؤلاء الشباب المكوث في منازلهم حيث يتوجب عليهم كسائر الشباب اليافعين في الدولة أن يهبوا للدفاع عنها و أن يقوموا بذلك بشكل أفضل من غيرهم . لقد حولت الحرب سرايا الدفاع من قوة سياسية داخلية إلى جيش وطني يقاتل في الخارج و من ثم تحولوا إلى أكثر من مجرد جيش وطني .

نحن الآن أمام بداية الحرب في بولندا بنتائجها بعيدة المدى . هل كان من الممكن تجنب الحرب ؟ بالتحديد أجل ! حتى بعد إنتقالها لبولندا ، فالنزاع حول دانتزج كان غير منطقي ، و معاهدة فرساي إقتطعت دانتزج من ألمانيا و منحتها لبولندا على عكس رغبة سكانها .

هذا الفعل كان فظيعاً و أدانه العالم أجمع . و تم إقتطاع جزء كبير من وسط ألمانيا ، و للذهاب من بروسيا الغربية إلى بروسيا الشرقية كان على المرء السفر في قطار مغلق عبر الأراضي البولندية . و قام مواطنو دانتزج بالتصويت بنسبة 99 % على العودة لألمانيا ، لكن تم تجاهل الحق في تقرير المصير تماماً .

و مع ذلك إندلعت الحرب مع بولندا لأسباب أكبر من حق دانتزج في تقرير مصيرها أو الحق البولندي في ذلك . فقد هاجنت بولندا بأشهر قبل الحرب تشيكوسلوفاكيا في نفس توقيت إعادة هتلر لأرض السوديت إلى ألمانيا . و كان البولنديون على إستعداد للتعامل مع هتلر و إن كانت بولندا قد إنقلبت ضد ألمانيا فذلك كان بسبب قيام الحكومة البريطانية بكل عمل ممكن لتسميم العلاقات البولندية الألمانية .

لماذا ؟

أمور كثيرة حدثت مع عقدة النقص التي يشعر بها حكام بريطانيا منذ وقت طويل تجاه أوربا . تجسدت هذه العقدة في سعي المؤسسة البريطانية الدائم لإبقاء أوربا ضعيفة عبر الحروب و الخلافات . و رغم حكم الإمبراطورية البريطانية لحوالي 500 مليون نسمة حول العالم إلا أنها لم تستطع التخلي عن هوايتها التقليدية : إشعال الخلافات و الفتن في أوربا ، فقد سعت تلك السياسة البريطانية لمنع ظهور دولة أوربية قوية و كانت هذه هي السياسة البريطانية لقرون .

لم تتساهل بريطانيا مع أي محاولة لتوحيد أوربا سواء كانت تعود لشارل الخامس قائد إسبانيا أو نابليون قائد فرنسا أو ويليام الثاني قائد ألمانيا . لم ترد ألمانيا أبداً التدخل في شئون بريطانيا ، و مع ذلك كانت بريطانيا تدس أنفها دوماً في الشئون الداخلية الأوربية ، و خاصة في وسط أوربا و البلقان .

أوصل دخول هتلر مدينة براغ – عاصمة تشيكوسلوفاكيا – السعي البريطاني لنقطة النزاع ، فقد كانت براغ و معها بوهيميا جزءاً من ألمانيا لقرون طويلة و دوماً ما خضعتا للنفوذ الألماني . التدخل البريطاني في تلك المنطقة كان غير مبرر على الإطلاق .

بالنسبة لألمانيا شكل نظام براغ تهديداً خطيراً . و كان بينيس – رئيس تشيكوسلوفاكيا – خادم ستالين المطيع ، و كان قد أمره الكريملين بفتح حدوده أمام الجيوش الشيوعية . في تلك اللحظة كانت تشيكوسلوفاكيا رأس حربة السوفييت تجاه ألمانيا .

بالنسبة لهتلر كانت براغ بمثابة برج المراقبة المطل على وسط أوربا و نقطة إرتكاز لتأخير الغزو السوفييتي ، و كانت هناك أيضاً الصلات الإقتصادية التاريخية التي تربط براغ بألمانيا . و كانت لألمانيا صلات إقتصادية دائمة مع وسط أوربا ، فكانت لرومانيا و البلقان و المجر و يوغوسلافيا و بلغاريا إقتصادات مترابطة مع ألمانيا مازالت موجودة ختى يومنا هذا .

كانت سياسة هتلر الإقتصادية في أوربا تستند على المنطق السليم و الواقعية ، و كان إهتمام هتلر بظهور السوق الأوربية المركزية المشتركة أكبر من الإهتمام بحرية التشيك و هو أمر لم تكن بريطانيا لتتساهل معه .

لكن كان الشعب الإنجليزي يشعر بإعجاب شديد تجاه هتلر . انا أتذكر ما قاله لويد جورج – رئيس الوزراء البريطاني الأسبق – للصحافة الألمانية بعد إنتهاء زيارته لهتلر فقال : " عليكم أن تحمدوا الله على وجود قائد مثل قائدكم " . لويد جورج عدو ألمانيا في الحرب العالمية الأولى قال ذلك !!!!

إدوارد الثامن – الملك البريطاني الذي تنازل عن العرش و أصبح بعدها دوق ويندسور – أيضاً زار بصحبة زوجته - و التي ضغطت عليه للتنحي - هتلر في البريجستادين – مقر إستراحة هتلر في جبال الألب البافارية و يسمى كذلك بالبرجهوف – و عندما عادوا أرسل إدوارد لهتلر تليغرافاً قال فيه: " ياله من يوم رائع قضيناه بصحبتكم " .

عكس الدوق ما يعلمه عديد من المواطنين الإنجليز بقوله : " ما أفضل وضع العمال الألمان " . لقد كان الدوق محقاً ، فالعامل الألماني كان دخله ضعف دخله قبل عهد هتلر و بدون أي تضخم ، و كنتيجة لذلك إرتفع المستوى المعيشي له .

حتى تشرشل – و الذي يعتبر من اكثر المتطرفين كرهاً لألمانيا –كتب لهتلر في 1938 – أي قبل الحرب بعام – قائلاً : " لو تعرضت بريطانيا العظمى لأزمة كتلك التي تعرضت لها ألمانيا في 1918 لكنت سألت الله أن يرسل لنا رجلاً بقوة و شخصية سعادتكم "

وردت تلك المقولة الإستثنائية في جريدة " لندن تايمز " .

الكل يعرف – سواء كان عدواً أوصديقاً – العبقرية الإستثنائية التي تمتع بها هتلر . كانت إنجازاته موضع حسد العالم أجمع . في خمس نوات فقط نجح في أعادة بناء أمة مفلسة و تعاني من ملايين العاطلين و جعلها أقوى إقتصاد في أوربا . لقد كان مذهلاً أن تتحمل أمة صغيرة مثل ألمانيا حرباً مع العالم كله لمدة ست سنوات .

كان تشرشل على علم بأنه لا يوجد شخص في العالم يطابق ذلك الإنجاز . قال تشرشل قبيل الحرب : " لا يوجد شك حول أننا يمكننا السعي لصياغة سلام مع هتلر " . لكن تشرشل تسلم تعليمات أخرى ، فالمؤسسة الحاكمة في بريطانيا خشت أن تنتقل عدوى نجاح هتلر إلى الدول الأخرى ، و قررت وجوب تدميرهتلر ، فقامت بخلق كراهية موجهة ضد هتلر عبر أوربا بإشعال الأحقاد القديمة ، و إستغلت أيضاً الحسد الذي شعر به بعض الأوربيين تجاه ألمانيا .

إن معدل المواليد المرتفع في ألمانيا جعلها أكبر بلدان غرب أوربا في الكثافة السكانية . و تقدمت ألمانيا على بريطانيا و فرنسا في العلم و التكنولوجيا . لقد جعل هتلر من ألمانيا مركز قوة إقتصادية . لقد كانت هذه جريمة هتلر و سعت المؤسسة البريطانية لتدمير هتلر و ألمانيا بأي وسيلة .

شحنت بريطانيا الحكومة البولندية ضد ألمانيا . البولنديون كانوا على رغبة شديدة بالعيش في سلام مع الألمان . و بدلاً عن ذلك ، تم توريط البولنديين سيئي الحظ في حرب مع ألمانيا بواسطة البريطانيين . و على المرء ألا ينسى أن مليوناً و نصف من الألمان كانوا يعيشون في

بولندا ذلك الوقت و كانوا ميزة في صالح الإقتصاد البولندي . و بعيداً عن الروابط الإقتصادية مع ألمانيا ، فقد أمل البولنديون في أنهم قد يتمكنوا بمساعدة الألمان في إستعادة الأراضي البولندية الخاضعة للإتحاد السوفييتي ، و هي الأراضي التي يحاولون إسترجاعها منذ 1919 بلا جدوى .

في يناير 1939 قدم هتلر لبيك – قائد بولندا – عرضاً لحل المسألة المتعلقة بدانتزج : أن يتم تنفيذ تصويت أهل دانتزج لصالح الإنضمام لألمانيا مع حق بولندا بالملاحة المجانية في ميناء دانتزج و تضمن المعاهدة ذلك .

إن الفكرة السائدة ذلك الوقت بوجوب أن يكون لكل دولة ميناء ليست لها قيمة ، فسويسرا و المجر و غيرها من الدول التي لا موانئ لها – دول حبيسة – مازالت قائمة و تسير امورها بشكل جيد . لقد إستند عرض هتلر على حق تقرير المصير و المصالح المتبادلة .

حتى تشرشل إعترف أن حلاً كهذا كان يمكنه تسوية مشكلة دانتزج . و رغم إعترافه ذلك إلا أنه أرسل تهديداً لألمانيا : إما الإنسحاب من بولندا و إما الحرب . لقد شاهد العالم مؤخراً ما فعله الغزو الإسرائيلي بلبنان حيث تم تدمير مدن مأهولة بالسكان مثل صيدا و صور و كذلك بيروت . الكل طالب إسرائيل بالإنسحاب لكن لم يعلن أحد الحرب على إسرائيل عندما رفضت الإنصياع .

قليل من الصبر كان كفيلاً بإيجاد حل سلمي لمشكلة دانتزج . و بدلاً من ذلك شنت الصحافة الدولية حملة ضخمة من الأكاذيب المضللة ضد هتلر و أغفلت الصحافة عن عمد ذكر عروضه لحل الأزمة .

إحدى أكبر الجرائم في الحرب العالمية الثانية كانت المذابح التي لم يسمع عنها أحد و التي حدثت في بولندا قبيل الحرب . لدي تقارير مفصلة توثق المذابح الجماعية بحق الألمان العزل في بولندا .

تم قتل آلاف الرجال و النساء و الأطفال الألمان بطريقة بشعة على يد جماعات واقعة تحت تحريض الصحافة . صور تلك المذابح أبشع من أن تتحمل رؤيتها . قرر هتلر وقف المذابح و هرع لنجدة المنكوبين .

أظهرت الحملة العسكرية على بولندا عبقرية هتلر العسكرية . لقد بدأ التاريخ في التعرف مؤخراً على السمة المميزة لشخصية هتلر : عبقريته العسكرية النادرة . كل الحملات العسكرية

الناجحة للرايخ الثالث إبتدعها هتلر مباشرة و ليس القيادة العسكرية المشتركة . و قد ألهم هتلر عدد من الجنرالات الذين لمع نجمهم في الحملات اللاحقة .

و فيما يتعلق بالحملة على بولندا فقط خططت القيادة العليا لشن هجوم على طول ساحل البلطيق بهدف الإستيلاء على دانتزج ، لكنها باءت بالفشل لمشاكل لوجستية . و بدلاً عن ذلك إبتكر هتلر البلتزكريج أو الحرب الخاطفة – عبارة عن تحرك كل القوات بمختلف انواعها في وقت واحد و سرعة كبيرة لتحقيق الأهداف العسكرية في أقصر وقت ممكن – و في وقت لا يذكر سقطت وارسو – عاصمة بولندا – بيده . و ظهرت فرق سرايا الدفاع على الجبهة البولندية و أذهل أداؤها العالم .

كانت الحملة الثانية و الموجهة ضد فرنسا خاطفة حيث سقطت باريس في ستة أسابيع فقط ، فبينما هرعت القوات الأنجلو-فرنسية نحو هولندا و بلجيكا لوقف تقدم الألمان تمكن الألمان من الإيقاع بهم و قاموا بتطويقهم في سيدان بغابات الأردين , و إنتهى الأمر كله في غضون أسابيع قليلة كما ذكرنا من قبل . أطلق تشرشل على ما حدث " ضربة المنجل " .

تقول رواية أن هتلر لم يكن له أي يد في عملياته العسكرية على إعتبار أن الأمر كله بيد الجنرال فون مانشتاين و هذا خطأ تماماً ، فالمارشال فون مانشتاين كان قد وضع تصورالخطة الأولي بالفعل لكن عندما عرضت على القيادة العليا المشتركة تم توبيخه و تخفيض رتبته و أعيد إلى دريسدن . لم تذكر القيادة العليا ذلك الحادث لهتلر الذي وضع خطة بنفسه تسير على نفس النسق لمواجهة القوات الأنجلو-فرنسية . و في مارس 1940 حدث أول إتصال بين هتلر و فون مانشتاين .

و وضع هتلر بنفسه أيضاً خطط غزو البلقان و روسيا . مناسبات قليلة فقط هي التي سمح فيها هتلر للقيادة العليا بوضع الخطة كما حدث في كورسك – معركة حدثت في يوليه 1943 بين ألمانيا و الإتحاد السوفييتي و إنتهت بهزيمة ألمانيا .

في حملة عام 1939 ضد بولندا لم يعتمد هتلر على نصيحة القيادة العليا بالعمل وفق النظريات العسكرية الراقدة في الكتب و التي تجاوز عمر بعضها الخمسين عاماً ، بل عمل بخطته الخاصة و المتعلقة بالتطويق الخاطف . في ثمانية أيام فقط حسمت نتيجة الحرب على بولندا لصالح ألمانيا رغم أن مساحة بولندا تفوق مساحة فرنسا .

شهدت حملة الثمانية أيام وجود ثلاثة أفواج من سرايا الدفاع في مسرح العمليات : " الليبستاندرت " و " الداتشلاند " و " جرمانيا " ، و كانت هناك أيضاً كتيبة دراجات نارية من

سرايا دفاع و فرق من المهندسين و وحدات الإشارة . كان تشكيلاً متكاملاً لكنه كان قوة صغيرة لا تتجاوز الخمس و عشرين ألفاً من القوات .

الجنرال جوزيف ديترتش لوحده بفرقته " الليبستاندرت " و بعد إنقسام فرقته عند سيليسا تمكن من تقسيم بولندا بأكملها إلى قسمين خلال أيام . و تمكن بفرقة قوامها 3000 رجل من هزيمة قوة بولندية قوامها 15 ألف مقاتل و أسر منهم عشرة آلاف . مثل هذه الإنتصارات لم تكن تتحق أبداً بدون خسائر .

من الصعب التخيل أنه من أصل مليون مجند في سرايا الدفاع قتل منهم 352 ألف في المعارك و فقد 50 ألف آخرون . هذا رقم محبط ! فقد ضحى حوالي أربعمائة ألف من خيرة شباب أوربا اليافعين بحياتهم في سبيل ما يؤمنون به . كانوا على علم أنهم عليهم تقديم المثل ، فقد كانوا على الخطوط الأولى للجبهة في سبيل حماية وطنهم و قيمهم .

في حالتي النصر و الهزيمة سعت سرايا الدفاع دوماً لتقديم أفضل تمثيل لشعبهم .



"All the News That's Fit to Print."

The New York Times.

EXTRA

GERMAN ARMY ATTACKS POLAND; CITIES BOMBED, PORT BLOCKADED; DANZIG IS ACCEPTED INTO REICH

BRITISH MOBILIZING

Navy Raised to Its Full Strength, Army and Air Reserves Called Up

Bulletins on Europe's Conflict

HOSTILITIES BEGUN

Warsaw Reports German Offensive Moving on Three Objectives

FREE CITY IS SEIZED

Forster Notifies Hitler of Order Putting Danzig Into the Reich

Hitler Acts Against Poland

EAST PRUSSIA

HITLER GIVES WORD

In a Proclamation He Accuses Warsaw of Appeal to Arms

غلاف جريدة " زا نيويورك تايمز " بعنوان : " الجيش الألماني يهاجم بولندا .. المدن قُصفت .. الميناء أُغلق .. تم ضم دانتزج للرايخ "

النظام داخل سلاح سرايا الدفاع

كانت سرايا الدفاع تعبيراً ديمقراطياً عن السلطة فهم أناس تجمعوا بإرادتهم الحرة , فالديمقراطية لا يمثلها التوافق في الصندوق الشفاف فقط بل أيضاً توافق قلوب و عقول الرجال . في ساحات المعارك قدمت سرايا الدفاع مثالاً رائعاً على الإستفتاء الديمقراطي يجب على الشعب الألماني أن يكون فخوراً بهم و يمنحهم الحب و الإحترام ، فمثل تلك الدوافع المعنوية العالية جعلت من متطوعي سرايا الدفاع أفضل مقاتلين في العالم .

أثبت سلاح سرايا الدفاع وجوده في أرض الواقع ، فهم لم يكونوا سياسيين فارغي العقول ، لكنهم ضحوا بحياتهم و كانوا الأولين دوماً في التوجه للقتال بروح رفقة عالية سادت بين أفراد سرايا الدفاع . كانت تلك الرفقة أهم سمة مميزة لسرايا الدفاع فقد كان قائدهم بمثابة زميل لهم.

و تجلت للعيان نتائج التدريب البدني لسرايا الدفاع على خطوط الجبهة . فالضابط في سرايا الدفاع خضع لنفس تدريب الجندي ، و تنافس الضباط و الجنود معاً في نفس الألعاب الرياضية بحيث يفوز أفضلهم لا أعلاهم رتبة . خلق هذا رابطة أخوية حقيقية بين أفراد سرايا الدفاع كانت حافزاً هاماً لهم . فقط العمل الجماعي لرجال أحرار تحت إشراف مثل أعلى أمكنه توحيد أوربا. إنظروا إلى السوق المشتركة في يومنا هذا ، إنها فشل ، فلا يوجد مثل أعلى و كل شئ قائم على المساومة كأسعار الطماطم و الصلب و الفحم و البرونز . و الإتحادات المثمرة تعتمد على شئ أعلى من ذلك .

علاقة المساواة و الإحترام المتبادل بين الجنود و الضباط كانت حاضرة دوماً . نصف قادة الفرق قضوا نحبهم في ساحات القتال . نصفهم ! لا يوجد جيش في العالم حدث فيه مثل ذلك .و القائد في سرايا الدفاع كان دائماً يقود قواته بنفسه في القتال . أنا شخصياً شاركت في خمسة و سبعين إلتحام جسدي مباشر مع العدو لأنني كضابط في سرايا الدفاع توجب علي أن أكون أول من يواجه العدو . لم يكن جنود سرايا الدفاع ليتم إرسالهم للمجزرة بأوامر من قادة قابعين في الصفوف الخلفية . بل سار الجنود وراء قادتهم في ولاء تام و حقيقي . كل ضابط في سرايا الدفاع كان يعرف جنوده و يعلمهم بنفسه ، و كانت الردود مذهلة بدرجة غير متوقعة .

بعد الخروج من حصار تشركاسي – مدينة أوكرانية – تحدثت مع جنودي فرداً فرداً . لقد كان عددهم بالآلاف لكنني كنت و لمدة أسبوعين من الفجر حتى الغسق أوجه لهم الأسئلة و أنصت

لإجاباتهم . حدث في بعض الأحيان أن تسلم الجنود المتبجحين ميداليات بينما لم يتسلم الأبطال الذين حافظوا على هدوئهم أياً منها . لقد تحدثت إليهم لأعرف أولاً ماذا حدث و ماذا فعلوا . فقط لأنه كان علي أن أعرف الحقيقة .

كان ذلك بمناسبة قيام إثنين من جنودي فجأة بإظهار بطاقات عضويتهم في حركة المقاومة البلجيكية ، لقد تم إرسالهم لقتلي. من السهل في ساحات القتال قتل شخص من ظهره . لكن روح الجماعة الإستثنائية لدى سرايا الدفاع تمكنت منهم . فضابط سرايا الدفاع يمكنه توقع ولاء جنوده إن كان لهم أسوة في ذلك .

حياة ضابط سرايا الدفاع على الجبهة مدتها بالتوقع ثلاثة أشهر . أتذكر عندما كنت في إستونيا تسلمت ثلاثة ضباط شباب تخرجوا من أكاديمية بادتويلز . كان ذلك في يوم إثنين ، و بحلول الخميس رحل أحدهم و هو مصاب .

في الجيوش التقليدية يتحدث الضباط للجنود حديث الأعلى للأدنى ، و نادراً ما كانوا يحدثونهم كأخوة في ساحات القتال أو أخوة في الأيديولوجية .

لذا بحلول 1939 كان سلاح سرايا الدفاع قد إكتسب الإعجاب و الإحترام لدى العامة . و هو ما دفع هتلر للمطالبة بزيادة عددهم . و بدلاً من الأفواج سيكون هناك ثلاثة فرق كاملة .

و مجدداً وضعت قيادة الجيش شروط إنضمام تعجيزية : فمن يريد الإنضمام لسرايا الدفاع عليه أن يبقى في ساحات القتال ما لا يقل عن أربعة سنوات . ظنت تلك القيادة أنه لن يوجد شخص يود المخاطرة . لكن في فبراير 1940 إنضم 40 ألف شخص لسرايا الدفاع بعد أن كان العدد 25 ألف في سبتمبر 1939 و وصل العدد لـ 150 ألف بحلول مايو 1940.

من 180 ثم 8 آلاف ثم 25 ألف ثم 150 ألف و حتى مليون جندي رغم كل المعوقات . لم يكن هتلر راغباً في دخول الحرب ضد فرنسا ، لكن الحرب فرضت عليه .

الـ 150 ألف جندي كان عليهم الخدمة في الجيش و تم تكليفهم بأخطر و أصعب المهام بالرغم من أنهم لم يكونوا مسلحين و معدين جيداً ، فكانت بحوزتهم أدنى الأسلحة و المعدات و لم تكن بحوزتهم أية دبابات . في 1940 تم تزويد فرقة " الليبستاندرت " بدبابات إستطلاعية قليلة . زودت سرايا الدفاع بمركبات متحركة للنقل فقط . و رغم أن حيازتهم إقتصرت على عربات النقل و الدراجات النارية إلا أنهم تمكنوا من تنفيذ واجباتهم بمهارة.



جنود من سرايا الدفاع فرقة " الليبستاندرت " في حالة إنتباه

ضربة المنجل

تم إرسال أفواج " الليبستاندرت " و " الفوهرر " إلى هولندا تحت قيادة جوزيف ديترتش ، وكان عليهم عبور المجاري المائية الهولندية . قام اللوفتافا – سلاح الجو الألماني – بإلقاء مظليين للسيطرة على الكباري على عمق 120 ميلاً داخل الأراضي الهولندية ، وكان حيوياً جداً لسرايا الدفاع الوصول لتلك الكباري بأسرع ما يمكن .

حققت " الليبستاندرت " إنجازاً غير مسبوق خلال عشرة أيام بالتحرك بسرعة 120 ميل في اليوم الواحد . لم يسمع أحد بذلك من قبل ، و صعق العالم لسماع ذلك . بهذا المعدل كان يمكن للقوات الألمانية بلوغ أسبانيا في أسبوع واحد . في يوم واحد عبرت " الليبستاندرت " كل القنوات المائية الهولندية على قوارب مطاطية . و مرة أخرى تعاظمت خسائر سرايا الدفاع ، لكن بفضل بطولتهم و سرعتهم تمكن الجيش الألماني من دخول روتردام – ميناء هولندي – في ثلاثة أيام . و كان المظليون معرضون لخطر الإبادة لو لم تحقق سرايا الدفاع ضربتها الخاطفة.

في بلجيكا واجه فوج " الفوهرر " من سرايا الدفاع الجيش الفرنسي الذي هرع بدوره بعد الوقوع في الفخ في سيدان نحو بلدة بريدا في هولندا. هناك رأينا لأول مرة جيش صغير تحركه الدوافع يطوق جيش وطني ضخم . إحتاج الأمر لفرقة سرايا دفاع واحدة و عدد قليل من القوات الألمانية لإفقاد الجيش الفرنسي توازنه و إجباره على التقهقر من بريدا إلى أنتويرب – ميناء بلجيكي – و إلى شمال فرنسا .

تقدمت أفواج " الليبستاندرت " و " الفوهرر " نحو جزر زيلند الكبرى و الواقعة بين نهري إسكوت و الراين . و خلال أيام تمت السيطرة عليها .

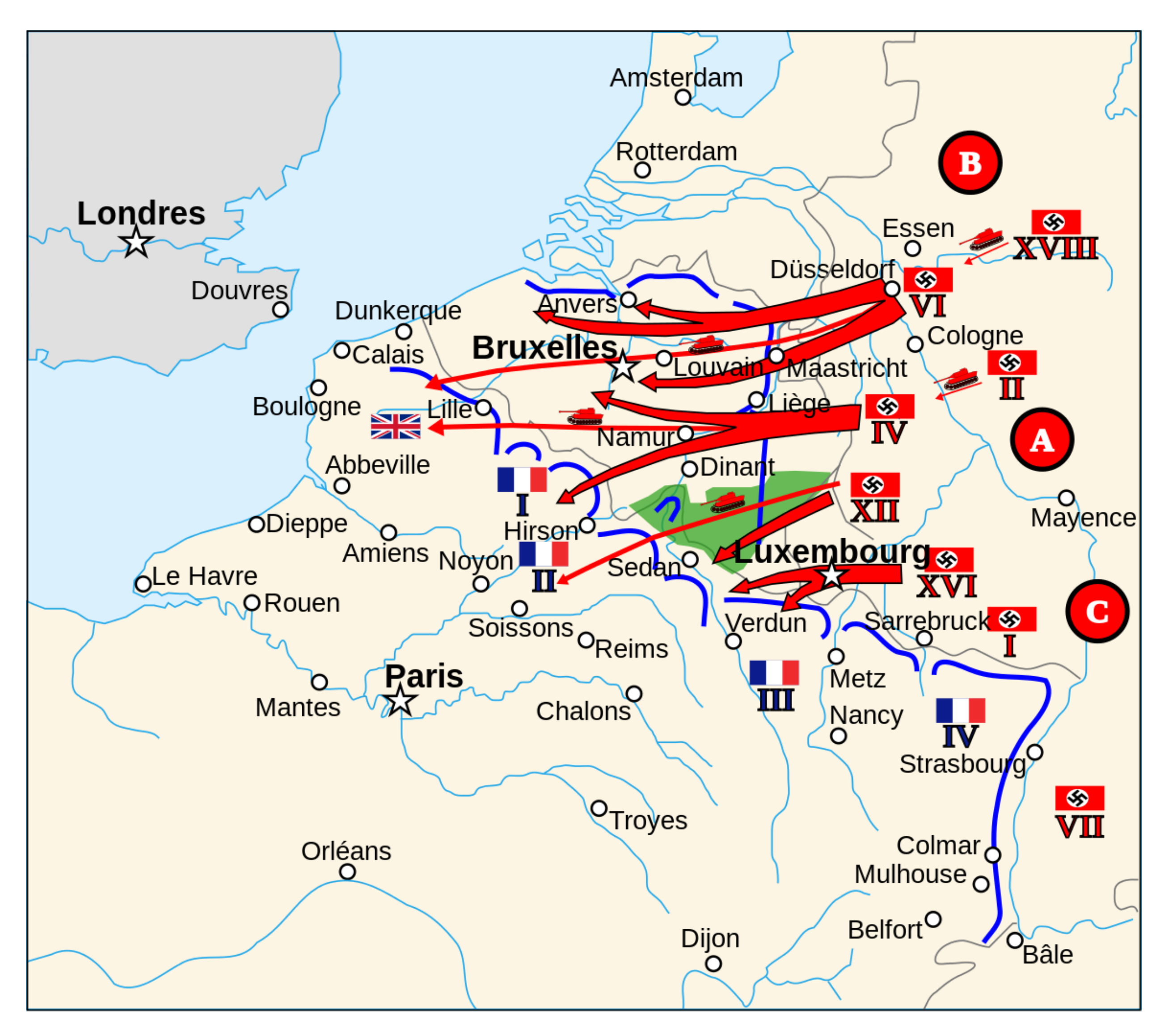
و في مدة لا تذكر عبرت " الليبستاندرت " بلجيكا و شمال فرنسا . و حدثت المعركة الرئيسية الثانية لأفواج سرايا الدفاع بالتعاون مع فرقة دبابات . و كانت أفواج سرايا الدفاع ماتزال تحت قيادة الجنرال روميل و الجنرال جيودريان . و توجهوا بسرعة نحو بحر الشمال .

عبر جوزيف ديترتش بقواته القنوات الفرنسية ، و لكن العدو أوقفهم في حقل تربته طينية، لذا سعوا فقط لمنع تعرضهم من الإبادة. و رغم مقتل عديد من الجنود ، قضى الضباط و قائد

كتيبة نحبهم في المعارك . و وصل الألمان إلى دانكيرك – ميناء فرنسي مطل على القنال الإنجليزي – و كان هتلر فخوراً بهم .

في الأسبوع التالي موضعهم هتلر عند نهر السوم ، و من هناك إنهمروا على كافة أنحاء فرنسا . و مرة أخرى أثبتت سرايا الدفاع أنهم أفضل مقاتلي العالم . و تقدم جوزيف ديترتش و معه الفرقة الثانية من سرايا الدفاع – فرقة " توتنكوف " – بسرعة و لمسافة بعيدة لدرجة أنهم فقدوا الإتصال بباقي الجيش لمدة ثلاثة أيام .و وجدوا أنفسهم في مدينة ليون بفرنسا و هي ذات المدينة التي إنسحبوا منها بعد معاهدة السلام الفرنسية الألمانية . نجح جوزيف ديترتش و حفنة قليلة من سرايا الدفاع محمولة على عربات نقل في تحقيق المستحيل .

إخترق فوج " الفوهرر " من سرايا الدفاع خط ماجينو – خط من تحصينات دفاعية على الحدود الألمانية الفرنسية – و الذي قيل عنه أنه لا يقهر . إنتهت الحرب مع فرنسا ، و دخلت باريس ثلاثة فرق من سرايا الدفاع . و كرمت برلين أبطال سرايا الدفاع و هو الأمر الذي أثار غيرة الجيش تجاه سرايا الدفاع . لقد كان هتلر نفسه الذي توجه بالشكر و الثناء لبطولة سرايا الدفاع و ذلك في الرايخ الألماني نفسه . و هناك إعتمد هتلر رسمياً إسم سرايا الدفاع .



خريطة توضح العمليات العسكرية الألمانية في حملتها على هولندا و بلجيكا و فرنسا " ضربة المنجل "

تطوير سرايا الدفاع

و لكن لم يقتصر الأمر على تغير الإسم ، فقد أصبحت سرايا الدفاع جرمانية حيث إنضم لها متطوعون من سائر الدول الجرمانية . لقد أوضحت سرايا الدفاع مدى القرابة بين أبناء شعوب غرب أوربا ، فالدانماركيون و الهولنديون و النرويجيون و الفلمنكيون كل أولئك ينتمون للعائلة الجرمانية . و كلهم تأثروا بسرايا الدفاع و كذلك الفرنسيون أيضاً .

لقد شعر سكان غرب أوربا بالإعجاز الشديد تجاه تلك القوة الألمانية الإستثنائية و أسلوبها الفريد، فمثلاً عند وصول جنود الإستطلاع لأي مدينة و قبل مقابلة مسئوليها الرسميين كانوا يقومون بالإغتسال و تنظيف أنفسهم بشكل جيد كي يظهروا بمظهر لائق . و لم يسع السكان فعل شئ سوى الإنبهار .

كان الإعجاب الذي شعر به أبناء الشعوب الجرمانية تجاه سرايا الدفاع فطرياً . لقد تمكن هذا الإعجاب من قلوب الشباب اليافعين في النرويج و الدانمارك و هولندا و الفلاندرز . و شعروا بإنجذاب نحو سرايا الدفاع . لم يتعلق الأمر بأوربا بل بإنتمائهم للجنس الجرماني الذي تملك نفوسهم بشكل عميق . لقد إكتشفوا أنفسهم مع الألمان المنتصرين . بالنسبة لهم كان هتلر أكثر رجل إستثنائي عرفوه . و تفهمهم هتلر و نفذ فكرته الرائعة بفتح أبواب الإنضمام لسرايا الدفاع أمامهم . كان ذلك خطيراً بعض الشئ .

لم يفكر أحد في ذلك من قبل . قبل هتلر تكونت ألمانيا الإستعمارية عبر تسويق بضائعها إلى الدول الأخرى و لم يكن هناك وجود لفكرة إسمها " الموطن المشترك " –نموذج عام و حوله جيرانه يحيطون به .

و بدلاً من التسويق و الخداع ظهر رجل قدم مثلاً أعلى : عدالة إجتماعية رائعة إشتاق لها الجميع منذ سنوات و لكن بلا جدوى . نظام شامل جديد يحل محل النظام السابق السائد قبل الحرب و المسمى بـ " الديمقراطية " . كان الرد على عرض هتلر متجاوزاً لحدود التصور ، فتم تشكيل فيالق من النرويج و الدانمارك و هولندا و الفلاندرز . و أصبح آلاف الشباب الآن

يرتدون الزي الموحد لسرايا الدفاع . و أسس هتلر لهم فرقة " فايكنج " الشهيرة ضمن سرايا الدفاع و التي قدر لها أن تكون من أشرس فرق سرايا الدفاع .

ظل الجيش يفعل كل ما هو ممكن لمنع الشباب من الإنضمام لسرايا الدفاع في ألمانيا و تصرف كما لو كانت سرايا الدفاع غير موجودة أصلاً. و إزاء تلك الأرضية غير الممهدة في الوطن كان طبيعياً أن تتكون سرايا الدفاع من رجال غير ألمان .

وفر الألمان المقيمين في الخارج نبعاً وفيراً من المتطوعين نظراً لوجود ملايين الأمريكيين من أصل ألماني و ملايين الألمان في رومانيا و المجر و في روسيا و في كل أنحاء أوربا عموماً ، بل كان هناك جمهورية سوفيتية من ألمان الفولجا الذين وفدوا لتلك المنطقة منذ قرنين خلوا . و تشارك أناس آخرين مثل الهوجونوت الفرنسين – طائفة بروتستانتية فرنسية عانت الإضطهاد في القرن السادس عشر و نزحت إلى بروسيا – مع الألمان في الهجرة .

لذا كانت أوربا عاجة بالتجمعات الألمانية . و جعلتهم إنتصارات الرايخ الثالث يفتخرون بإنتمائهم للأسرة الألمانية . و رحب بهم هتلر في الوطن حيث وجد فيهم في بداية الأمر مصدراً لرجال النخبة في سرايا الدفاع و أيضاً عامل مهم لتوحيد كل الألمان أيديولوجياً .

و مرة أخرى ، كان الرد المتحمس مذهلاً . فإنضم لسرايا الدفاع حوالي 300 ألف من الذرية الألمانية من كل أنحاء أوربا ، منهم 54 ألف من رومانيا وحدها . و وفقاً للسائد في ذلك العهد تعد تلك أرقاماً مذهلةً . لكن كانت هناك مشاكل عديدة ، على سبيل المثال أغلب المتطوعين الجرمان لا يتحدثون باللغة الألمانية .

لقد إستقرت عائلاتهم في أراض أجنبية لقرابة المئتي عام . في إسبانيا مثلاً أرى أبناء فيلقي بدأوا التأثر بالأسبان و أحفادهم أصبحوا لا يتحدثون الفرنسية . و سار الألمان في نفس الدرب ، فعندما وصل أول متطوعين ألمان لسرايا الدفاع كانوا يتحدثون لغات مختلفة بلهجات مختلفة و لهم إحتياجات مختلفة .

كيف نعثر على ضباط يتحدثون كل تلك اللغات ؟ كيف نتعامل مع تلك المجموعات المختلفة ؟ حل تلك المشكلة تمثل في معجزة برنامج الإندماج الخاص بسلاح سرايا الدفاع . رأى سلاح سرايا الدفاع في القبائل المنفصلة التي عادت للوطن كأساس للوحدة الأوربية الحقة . تم الترحيب بالثلاثمائة ألف متطوع جرماني في سلاح سرايا الدفاع كأخوة ، و تم تكريمهم بجعلهم مخلصين و موالين و أبطال كأفراد سرايا الدفاع الألمان تماماً .

خلال عام تغير كل شئ بالنسبة لسلاح سرايا الدفاع ، فقد إمتلأت الثكنات و الأكاديمية عن آخرها . معايير الإنضمام الصارمة تم تطبيقها على كل المتطوعين الجرمان بالتساوي ، فكان عليهم أن يكونوا الأفضل بكل الطرق : العقلية و البدنية .

لقد كان عليهم أن يكونوا الأفضل في العرق الجرماني .



جنود من سرايا الدفاع

عن عنصرية النازية

العنصرية الألمانية تم تشويهها بشكل متعمد . و هي لم تكن أبداً عنصرية موجهة ضد الأعراق الأخرى ، بل كانت موجهة لدعم العرق الألماني . لقد كانت مهتمة بجعل العرق الألماني صحياً و قوياً بشتى الطرق ، فهتلر لم يكن يريد وجود ملايين الخاملين بإعتبار أن وجودهم ليس في صالحه . اليوم يرى المرء الإدمان على الكحوليات و المخدرات في كل مكان .

إهتم هتلر بجعل الأسر الألمانية أصحاء ، و إهتم بجعلها تنشئ أطفالاً أصحاء أيضاً من أجل تجديد شباب الأمة . عنت العنصرية الألمانية إعادة إكتشاف العنصر الخلاق للعرق و هو الثقافة . لقد كان بحثاً عن فكرة ممتازة و نبيلة .

لم تكن عنصرية الإشتراكية القومية " الوطنية " موجهة ضد الأعراق الأخرى ، بل كانت لخدمة عرقها الخاص . فهدفت لحماية و تحسين العرق و تمنت لو إقتدت بها باقي الأعراق .

إتضح ذلك عندما توسع سلاح سرايا الدفاع و ضم 60 ألف جندي مسلم . نعم مسلم !!!! و تعامل سلاح سرايا الدفاع بإحترام شديد لطريقة معيشتهم و مناسكهم و شعائرهم الدينية و كذلك عاداتهم . و كان لكل كتيبة مسلمين إمام و كل جماعة لها مولى . كنا نتمنى أن نظهر أروع ما فيهم من سمات . لقد كانت هذه عنصريتنا . لقد كنت حاضراً بنفسي عندما تسلم كل رفيق مسلم هدية شخصية من هتلر خلال بداية العام الجديد : قلادة و معها مصحف صغير . لقد كرمهم هتلر بأعظم هدية رمزية تجسدت في أعظم شئ في حياتهم و هو القرآن الكريم .

كانت عنصرية الإشتراكية القومية " الوطنية " موالية للعرق الألماني و لكنتها كنت الإحترام لباقي الأعراق .

بمناسبة هذه النقطة قد يتساءل البعض : " و ماذا عن العنصرية المعادية لليهود ؟ " و يمكن للمرء أن يرد : " و ماذا عن العداء اليهودي للتناسل مع الأعراق الأخرى ؟ "

لقد كان من سوء حظ العرق اليهودي أنهم لم يتمكنوا أبداً من الإندماج مع الأعراق الأخرى.

هي ظاهرة غير معتادة ، فعندما يدرس المرء تاريخ الشعب اليهودي – و أنا أقول ذلك بدون عاطفة – و تطوره عبر التاريخ يلاحظ المرء أن اليهود في كل مكان و كل زمان كانوا مكروهين . فكانوا مكروهين في مصر القديمة و اليونان القديمة و في الإمبراطورية الرومانية لدرجة أنه تم تهجير 3 آلاف منهم إلى جزيرة سردينيا بالبحر المتوسط . و كان ذلك أول

تهجير لهم . و كانوا مكروهين أيضاً في فرنسا و إنجلترا – تم تحريم تواجدهم في بريطانيا لقرون – و في ألمانيا .

و قد ألف الكاتب اليهودي لازار كتاباً حول معاداة السامية تساءل فيه : " علينا نحن اليهود أن نسأل أنفسنا : لماذا نعامل بكراهية في كل مكان ؟ ليس بسبب مضطهدينا في الأماكن و الأزمنة المختلفة ، بل لوجود شئ غير محبوب داخلنا " .

و ما كان " غير المحبوب " هو أن اليهود دوماً يريدون أن يعيشوا كطبقة مميزة و شعب مختار إلهياً بعد فحص دقيق .

لذا فالعرق اليهودي حالة خاصة . و هتلر لم يرد تدميره ، بل أراد لليهود أن يكتشفوا هويتهم الخاصة في بيئتهم الخاصة و ليس على حساب الآخرين . و كانت مجابهة الإشتراكية القومية " الوطنية " لليهود – إن جاز الوصف – مقيدة بغرض واحد و هو أن يترك اليهود ألمانيا في سلام . كان مخططاً أن يتم منحهم دولة خاصة بهم في الخارج ، و كانت مدغشقر هي المحددة لذلك ، لكن تم التخلي عن تلك الخطط لما دخلت الولايات المتحدة الحرب . و في نفس الوقت فكر هتلر في ترك اليهود يعيشون في جيتو خاص بهم يحتفظون فيه بعاداتهم و طريقتهم في الحياة و يكون لهم علمهم الخاص و نظام نقل خاص و مصانع خاصة أسستها الحكومة الألمانية .

و لما تعلق الأمر أكثر بالأعراق الأخرى تم الترحيب بهم في ألمانيا و لكن ليس كمحتلين لهم مزايا خاصة .

في عام واحد ضم سلاح سرايا الدفاع عدد ضخم من الشعوب الجرمانية من شمال أوربا و مئات آلاف الألمان المقيمين خارج ألمانيا و تمت تسميتهم " الفولكس داتش " أي سرايا الدفاع الجرمانية . حينها تفجر الصراع بين الإشتراكية القومية " الوطنية " و الشيوعية .

بل إن الصراع كان موجوداً أصلاً .



جنود مسلمين في سرايا الدفاع

الصراع مع الإتحاد السوفييتي

في كتابه كفاحي أوضح هتلر هدفه بصراحة و هو تخليص العالم من تهديد الشيوعية . و بالتالي سعى لضم أراضٍ في شرق أوربا . هذا السعي للتوسع نحو الشرق خلق غضباً هائلاً ، فكيف يمكن للألمان أن يطالبوا بأراضٍ في روسيا ؟ و يمكن للمرء أن يجيب على ذلك : كيف يمكن للأمريكيين المطالبة بأراضٍ هندية من المحيط الأطلنطي حتى المحيط الهادئ ؟ كيف يمكن لفرنسا المطالبة بأراضٍ في الفلاندرز الجنوبية و روسيلون من إسبانيا ؟ و ماذا عن

بريطانيا ؟ و ماذا عن كل الدول الأخرى التي طالبت بغزو أقاليم تابعة لدول أخرى ؟ . في ذلك الوقت و بطريقة ما كان من حق كل الدول التوطن في أقاليم دول أخرى أما ألمانيا فلا .

بشكل شخصي ، دوماً ما عملت على الدفاع عن الروس ، و في النهاية نجحت في إقناع هتلر أنه على الألمان العيش مع الروس كشركاء و ليس غزاة . قبل تحقيق تلك الشركة كان هناك هدف محو الشيوعية تماماً .

خلال سريان الإتفاق السوفييتي الألماني عمل هتلر على كسب الوقت ، لكن السوفييت كثفوا من أعمالهم العدوانية من إستونيا و حتى بوكوفينا – منطقة بين رومانيا و أوكرانيا – سأقرأ الآن مستخلصات من بعض الوثائق السوفييتية ، إنهن أكثر توضيحاً للأمر .

لنقرأ ما كتبه المارشال السوفييتي فوروشيلوف بنفسه :

" نحن الآن لدينا الوقت لتجهيز أنفسنا لتدمير العالم الرأسمالي بينما يتمزق هو . علينا مع ذلك أن نكون حذرين ، فيجب ألا يكون عند الألمان شك في أننا نجهز لطعنهم من الظهر أثناء إنشغالهم هم بقتال الفرنسيين و إلا سيغيرون خطتهم العامة و يهاجموننا نحن " .

و كتب المارشال السوفييتي تشوبونيتوف :

" إن التعايش المشترك بين ألمانيا الهتلرية و الإتحاد السوفييتي مؤقت ، لن نجعله يدوم للأبد " .

إن هتلر كانت له أسباب مقنعة لغزو روسيا بسرعة لأنه شعر أنه ستتم الإطاحة به إن لم يحرك ساكناً . حيث قال المارشال السوفييتي جوكوف : " أننا بحاجة لأشهر قليلة أخرى لإصلاح عيوب صناعتنا قبل نهاية 1941 ، نحن بحاجة لثمانية عشر شهراً لإتمام تحديث قواتنا " .

كانت الأوامر دقيقة جداً ، ففي الجلسة الرابعة للقيادة العليا السوفييتية في 1939 تم إتخاذ قرار أن مدة خدمة ضباط الجيش ستكون ثلاث سنوات ، و الجنود أربع سنوات ، و أفراد البحرية خمس سنوات . كل هذه القرارات إتخذت بعد توقيع المعاهدة السوفييتية الألمانية بأقل من شهر.

كان السوفييت المتظاهرون بالسلام مستعدين للحرب بشكل محموم . فتم بناء 2500 تحصين خرساني جديد في الفترة بين 1939 و 1940 . تم وضع 160 فرقة في وضع إستعداد للقتال . تم وضع 60 فرقة دبابات في حالة تنبيه . كان لدى الألمان عشرة فرق بانزر مدرعة فقط .

في 1941 كان للسوفييت 17 ألف دبابة و أصبح العدد 32 ألف في 1942 . و كان لديهم 92548 قطعة مدفعية و 17545 طائرة بما يفوق العدد الألماني بكثير .

من اليسير أن نفهم أنه و مع مثل هذا الإستعداد العسكري كان لدى هتلر خيار واحد : إما غزو الإتحاد السوفييتي فوراً أو مواجهة الإبادة التامة .

حملة هتلر على روسيا كانت حملة " الفرصة الأخيرة " . و لم يذهب هتلر إلى روسيا بتفائل شديد و أخبرني لاحقاً : " عندما دخلت روسيا كنت كرجل يواجه باباً مغلقاً ، كنت أعرف أن علي تحطيمه لكنني لم أعرف ماذا كان وراءه " . لقد كان هتلر محقاً . لقد كان يعرف أن السوفييت أقوياء لكنه إعتقد أنه سيكون أقوى بكثير منهم . العام 1941 هو الوحيد الذي كان لهتلر فيه مهلة فلم يتمكن البريطانيون من توسيع الحرب ضد هتلر ، أما هتلر – و الذي لم يرد أبداً محاربة بريطانيا – فمازال يسعى للسلام .



SOMEONE IS TAKING SOMEONE FOR A WALK

رسم كاركاتيري ساخر يوضح زيف الصداقة الهتلرية الستالينية و إستعداد كلاهما للغدر بالآخر

لقاء مع الفوهرر

دعاني هتلر يوماً لقضاء أسبوع في ضيافته لمناقشة الموقف بأكمله و ليسمع رأيي فيه . تحدث هتلر بوضوح و بساطة شديدين ، وكان المناخ العام مريحاً و بعيداً عن الرسميات . لقد كان يجعلك تشعر و كأنك في منزلك لأنه إستمتع حقاً بضيافة الآخرين .

و قام بمزج خبز من التوست الفاخر بالزبدة و منحه لي ، و رغم أنه كان لا يشرب الخمر إلا أنه ذهب لإحضار زجاجة شامبانيا بعد كل وجبة لأنه كان على علم بأني أحب إحتساء كأساً منها في نهاية كل وجبة . كل ذلك بدون أي قيود بيننا أو رسميات . لقد كان جزءاً من عبقريته إعتماده على البساطة و التواضع الشديد .

تحدثنا حول إنجلترا و سألته : " لماذا لم تقض على البريطانيين في دانكيرك ؟ الكل يعلم أنه كان بإستطاعتك إبادتهم " . فاجاب : " أجل ، لقد أوقفت قواتي و سمحت بهروب البريطانيين إلى بريطانيا ، فالذل المتولد عن تلك الهزيمة جعل السعي للسلام معهم صعباً بعد ذلك " .

و أخبرني هتلر في نفس الوقت أنه لم يرد تبديد الإعتقاد السوفييتي بأنه سيغزو إنجلترا . و ذكر أنه قام بتوزيع قواميس " ألماني-إنجليزي " على قواته في بولندا مما دعى الجواسيس السوفييت في بولندا لإرسال تقارير دورية تفيد أن الوجود الألماني في بولندا مخادع و أنهم على وشك الرحيل و التوجه للجزر البريطانية .



لقاء لبجنرال ليون ديجريل مع هتلر

غزو روسيا

في 22 يوليه 1941 غزا هتلر روسيا و ليس إنجلترا . الإنتصارات الأولية كانت خاطفة و لكن مكلفة . لقد عشت النضال الملحمي على الجبهة الروسية . لقد كانت تراجيديا حفية بالشهداء و البطولات . و كانت آلاف الأميال الروسية الغير منتهية شاسعة ، و كان علينا بلوغ القوقاز على الأقدام و تحت أقسي الظروف .

في الصيف كان علينا السير في الطين الذي وصل لركبنا ، و في الشتاء كان علينا السير في درجات التجمد تحت الصفر . لكن خلال أيام ربح هتلر الحرب في روسيا في 1941 . قبل معركة موسكو كان هتلر قد نجح في إكتساح الجيش السوفييتي و أسر أعداد مهولة منه .

فرقة دبابات الجنرال جيودريان – و التي قامت بتطويق مليون جندي سوفييتي في كييف بأوكرانيا – وصلت لمشارف موسكو عند خطوط الترام . و هناك حدث الإنهيار المفاجئ لدرجات الحرارة نحو التجمد حيث بلغت قرابة الخمسين درجة مئوية تحت الصفر . يعني ذلك أنه ليس فقط الجنود تعرضوا للتجمد بل المعدات أيضاً تجمدت ، و عجزت الدبابات عن التحرك . و تحول طين الأمس إلى قطع جليدية إرتفاعها نصف متر مجمدة الدبابات .

في 24 ساعة إنقلبت كل خياراتنا التكتيكية . كان ذلك عندما وصلت القوات السيبيرية من الشرق الأقصى الروسي و ألقي بها لمواجهة الألمان .

خلقت الأيام الجليدية المصيرية القليلة الحد الفارق بين النصر و الهزيمة و كان هتلر مديناً للحملة الإيطالية على اليونان خلال عام 1940 .

كان موسوليني يشعر بحسد شديد تجاه نجاحات هتلر . لقد كانت غيرة صامتة و عميقة . لقد كنت صديقاً لموسوليني و أعرفه جيداً . و كان رجلاً بارزاً لكن أوربا لم تكن مهتمة به . لم يرد موسوليني أن يكون مجرد متفرج يشاهد هتلر ينتصر في كل مكان و شعر بوجوب أن يقوم بأي شئ بنفسه . و بتهور شديد أطلق حملة هجومية ضد اليونان .

تعرضت قواته للهزيمة فوراً . لكنه منح البريطانيين الحجة للتدخل و غزو اليونان – التي لم تتورط في الحرب بعد – و إنطلاقاً من اليونان أمكن للبريطانيين ضرب المنشآت النفطية في رومانيا و الحيوية بالنسبة لألمانيا في مجهودها الحربي ، و يمكن إستغلال اليونان أيضاً في قطع الطريق على القوات الألمانية المتوجهة إلى روسيا . كان على هتلر محو ذلك التهديد فوراً ، فإضطر لإضاعة خمسة أسابيع في البلقان ، و كانت إنتصاراته هناك إنجازات لوجستية لا يمكن تصديقها ، لكنها أخرت غزوه لروسيا لخمس أسابيع قاتلة .

لو كان هتلر أطلق الحملة على روسيا في وقتها المخطط له لكان قد دخل موسكو قبل الوصول إليها بخمسة أسابيع و تحت الشمس الساطعة و حينما تكون الأرض جافة ، و لكانت الحرب قد إنتهت و لأصبح الإتحاد السوفييتي شيئاً من الماضي . إن هطول الجليد فجأة و وصول القوات السيبيرية الجاهزة أثار الهلع في نفوس قادة الجيش الكبار و أرادوا الإنسحاب لمئتي ميل بعيداً عن موسكو . من الصعب تصديق تلك التراجيديا ! لقد غطى الجليد روسيا من شرقها إلى غربها و الإنسحاب لمئتي ميل سيجعل الأمور أكثر سوءاً . كنت قائداً للقوات في أوكرانيا عندما تدنت الحرارة و وصلت لـ 42 درجة تحت الصفر .

مثل هذا الإنسحاب يعني ترك كل المعدات الثقيلة بما فيها من مدافع و دبابات بانزر عالقة في الجليد ، و يعني أيضاً تعريض نصف مليون جندي لقناصة السوفييت .

في الواقع عنى ذلك تسليمهم للموت المحقق . على المرء تذكر إنسحاب نابليون في أكتوبر ، فقد وصل لنهر برزينا في نوفمبر و بحلول السادس من ديسمبر كانت القوات الفرنسية قد خرجت من روسيا . لقد كان الجو بارداً بما فيه الكفاية رغم أنها لم تكن حملة صيفية .

هل يمكنكم أن تتخيلوا في عام 1941 نصف مليون جندي ألماني يقاتلون العواصف الجليدية و الإمدادات منقطعة عنهم و يتعرضون للهجوم من كل الجوانب على يد القوازق – قبائل تعيش في روسيا ؟ لقد واجهت القوازق و فقط القوة النارية المتفوقة تستطيع وقف هجماتهم . و بهدف وقف مثل هذا الإنسحاب قام هتلر بعزل ثلاثين جنرال في أيام قليلة .

و عندئذٍ إستدعى هتلر سرايا الدفاع لملء الفراغ و رفع المعنويات . و فوراً تماسكت سرايا الدفاع على جبهة موسكو . و في الحقيقة لم تنسحب سرايا الدفاع أبداً أثناء الحرب . فهم يفضلون الموت على الإنسحاب . لا يمكن للمرء أن ينسى الأرقام ، ففي شتاء 1941 خسرت سرايا الدفاع 43 ألف قتيل أمام موسكو ، و قاتل الفوج " الفوهرر " حرفياً حتى الرجل الأخير و لم تتمكن القوات السوفييتية من إختراق صفوفهم ، بل حاولت التسلل بجانبهم عبر الجليد . و هكذا أسرت فرق " التوتنكوف " الجنرال الروسي الشهير فلاسوف . و بدون شجاعتهم البطولية لكانت ألمانيا تعرضت للإبادة بحلول ديسمبر 1941 .

لم ينس هتلر ذلك أبداً ، لقد قدر قوة الإرادة التي تجلت لدى سرايا الدفاع أمام موسكو فقد أظهروا شجاعة فائقة هناك . و لهذا كان هتلر معجباً بهم ، فبالنسبة له ليس كافياً إمتلاك الذكاء أو المهارة ، فحاملوا تلك الصفات يمكن الإيقاع بهم كما سيحدث لاحقاً في ستالينجراد – مدينة جنوب الإتحاد السوفييتي دارت عندها معركة شرسة إنهزمت فيها المانيا على يد الإتحاد السوفييتي – في الشتاء التالي مع الجنرال بالاوس .

علم هتلر أن الطاقة المطلقة و الشجاعة و رفض الإستسلام و الإرادة في الوقوف أمام كل المعوقات هي ما تربحه الحرب .

أظهرت العواصف الثلجية في سهوب روسيا كيف أن أفضل جيش في العالم و هو الجيش الألماني المتكون من آلاف الضباط المدربين جيداً و ملايين الجنود عالي الإنضباط لم يكن كافياً . أدرك هتلر إحتمالية هزيمتهم لذا شعر بحاجة لشئ آخر و هو الإيمان غير القابل

للإهتزاز الذي يمكن بمساعدته التغلب على الموقف الحالي . و كان سلاح سرايا الدفاع هو النموذج الذي توافر ذلك فيه ، لذا إعتمد عليهم هتلر بشكل واسع فيما بعد .

هرع المتطوعون من كل أنحاء أوربا لنجدة أشقائهم الألمان . و هنا ولد الجيل الثالث من سلاح سرايا الدفاع ، فالأول كان من الألمان فقط ، و الثاني كان من الجرمان ، و الآن وجدت سرايا الدفاع الأوربية . تطوع 125 ألف رجل لحماية أوربا الغربية بحضارتها و ثقافتها . إنضم المتطوعون و هم على علم تام بأن لسرايا الدفاع أعلى معدل موت في ساحة المعركة : 250 ألف ماتوا من أصل مليون حتى اللحظة .

بالنسبة لهم كان سلاح سرايا الدفاع – و رغم معدل قتلاه المرتفع – بمثابة ميلاد لأوربا . و قال نابليون في منفاه بجزيرة سانت هيلانة : " لن تكون هناك أوربا بدون ظهور قائد " .

و لاحظ المتطوعون اليافعين شيئان : أولهما أن هتلر هو القائد الوحيد القادر على بناء أوربا ، و ثانيهما أن هتلر – و هتلر فقط – هو القادر على هزيمة التهديد الشيوعي للعالم .

بالنسبة لسرايا الدفاع الأوربية فإن أوربا المليئة بالغيرة التافهة و الغلو في الوطنية و نزاعات الحدود و الحزازات الإقتصادية لم تعد محل إهتمامهم . و كان تافهاً جداً و بلا معنى أن أوربا لم تعد متاحة أمامهم . و في نفس الوقت لم يرد أفراد سرايا الدفاع الأوربية – رغم إعجابهم بهتلر و الشعب الألماني – أن يكونوا ألمان . فقد كانوا رجالاً لهم شعوبهم و أوربا فقط هي التي جمعت كل هؤلاء الأفراد المتنوعين . كان يمكن تحقيق الوحدة الأوربية عبر التناغم لا الهيمنة لواحد على الباقين .

لقد ناقشت تلك المسائل بشكل مطول مع هتلر و هملر . هتلر كان قد تخطى مرحلة القومية . فنابليون كان أولاً كورسيكياً ثم أصبح فرنسياً ثم أوربياً ثم رجلاً عالمياً . و تماماً هتلر كان نمساوياً ثم ألمانياً ثم جرمانياً ثم خطا نحو العظمة في بنائه لأوربا .

بعد هزيمة الشيوعية كان على سلاح سرايا الدفاع واجب مقدس لجمع كل جهوده و قوته لبناء أوربا الموحدة ، و لا يوجد مجال للحديث عن خضوع أوربا غير الألمانية لسيطرة الألمان .

قبل إشراك سلاح سرايا الدفاع عرفنا نزاعات صعبة عديدة . فقد تم إرسالنا للجبهة الشرقية أولاً كقوات مساعدة للجيش الألماني ، لكن خلال معركة ستالينجراد رأينا أن أوربا كانت في خطر شديد كان بذل الجهد العظيم أمراً حتمياً .



جنود سرايا الدفاع تحت الطقس المتجمد في روسيا

خواطر حول أوربا بعد الحرب

ذات ليلة كنت في محادثة لمدة ثمان ساعات مع هتلر و هملر حول وضع الأوربيين غير الألمان في أوربا الجديدة .

في الوقت الحاضر كنا نتوقع أن تتم معاملتنا بالتساوي لقتالنا معاً في قضية مشتركة . تفهم هتلر ذلك كلياً و من حينها أصبح لنا علم خاص و ضباط خاصين و لغتنا الخاص و ديننا الخاص . كانت لنا أوضاع متعادلة تماماً .

كنت أول من حصل على رجل دين كاثوليكي في سلاح سرايا الدفاع . و لاحقاً تم ضم رجال الدين لكل الطوائف التي طلبت ذلك في سرايا الدفاع ، فالفرق الإسلامية كان لها مولى و الفرنسية كان لها أسقفاً . لقد كنا سعداء بأن أوربا مع هتلر ستكون مقسمة إتحادياً – فيدرالياً – بالتساوي . و شعرنا أن أفضل وقت لإثبات إستحقاقنا للتعامل بمساواة هو اللحظة الفارقة في الدفاع عن أوربا كتفاً بكتف مع رفاقنا الألمان . و ما كان مهماً بالنسبة لهتلر هو الشجاعة ، فقد أنشأ نظاماً للفروسية و أولئك الذين حازواعلى وسام الرايتكروز – و يعني وسام صليب الفارس محاطاً بأوراق البلوط – صاروا هم الفرسان الجدد .

لقد إكتسبوا الوضع النبيل للشجاعة . كل وحدة ستعود لوطنها من قواتنا بعد الحرب ستتولى هي حماية حقوق شعبها في دولتنا المحترمة . و تفهمت سرايا الدفاع أن الوحدة الأوربية يجب أن تشمل كل أوربا بما فيها روسيا .

كان هناك نقص كبير في المعرفة لدى كثير من الألمان حول الروس . كثير منهم إعتقدوا أن كل الروس شيوعيين ، و لكن في الحقيقة كان تمثيل الروس في نظام الحكم الشيوعي أقل من الواضح أصلاً . و إعتقدوا أيضاً أن الروس هم النقيض القطري للأوربيين . و لكنهم لديهم هيكل أسري مشابه ،و لديهم حضارة قديمة و إيمان ديني عميق ، وتقاليد تختلف عن تلك السائدة في الدول الأوربية الأخرى .

رأت سرايا الدفاع الأوربية أوربا الجديدة في هيئة تتشكل من ثلاثة عناصر : وسط أوربا هو مركز السلطة ، غرب أوربا هو القلب الثقافي لها ، شرق أوربا هو قوة أوربا . لكن كانت أوربا التي تصورتها سرايا الدفاع كانت موجودة و حقيقية ، فكان سكانها الستمائة مليون يعيشون في نطاق جغرافي يمتد من بحر الشمال حتى فلاديفوستوك – مدينة أقصى شرق روسيا .

كان ذلك على إتساع 8 آلاف ميل كي تحاول أوربا تحقيق قدرها . مساحة للشباب كي يبدءوا حياة جديدة . و أوربا هذه ستكون منارة العالم من حيث مجموعتها العرقية الواحدة و حضارتها القديمة و قوتها الروحية و أكبر تجمع تكنولوجي و علمي . و تحضرت سرايا الدفاع لقدر أوربا العظيم .

قارنوا تلك الأهداف و المثل بأهداف الحلفاء . فقد فرط تشرشل و فرانكلين روزفلت – الرئيس الأمريكي – في أوربا في مؤتمرات طهران و بوتسدام و يالتا . و أذعنوا بجبن شديد للسوفييت . و قاموا بتسليم نصف قارة أوربا للإستعباد الشيوعي . و تركوا النصف الباقي متحلل معنوياً بدون أي مثل عليا تحافظ عليه . عرفت سرايا الدفاع ما كانت تريده : أوربا المثل العليا كانت هي سبيل الخلاص للكل .

هذا الإيمان بالمثل العليا ألهم أربعمائة ألف ألماني في سرايا الدفاع ، و و ثلاثمائة ألف جرماني ، و ثلاثمائة ألف أوربي . و كل المتطوعين المليون هم بناة أوربا .



مجسم مدينة جرمانيا العاصمة الإفتراضية لأوربا الموحدة بعد الحرب من تصميم المهندس الألماني ألبرت شبير

النهاية

نمت صفوف سرايا الدفاع بشكل متناسب مع نمو الحملة في روسيا . فكلما إقتربت ألمانيا من السقوط في الهزيمة كلما زاد عدد المتطوعين على الجبهة . كان هذا ظاهرة ملحوظة ، فقبل ثمانية أيام من الهزيمة النهائية رأيت مئات الشباب اليافعين يلتحقون بسرايا الدفاع على الجبهة . و عرفوا حتى النهاية أنهم عليهم فعل المستحيل لوقف العدو .

لذا فمن الـ 180 مقاتل في " الليبستاندرت " في 1933 إلى أفواج سرايا الدفاع قبل 1939 إلى الثلاثة أفواج في بولندا إلى الثلاثة فرق في فرنسا إلى الست فرق في بداية الحرب في روسيا إلى الثمان و الثلاثين فرقة في 1944 وصولاً إلى الخمسين فرقة في 1945 . فكلما زاد عدد قتلى سرايا الدفاع كلما زاد عدد المتطوعون الذين يحلون محلهم .

لقد كان لديهم الإيمان و وقفوا في بشكل راسخ لأقصى حد ممكن . لكن حدث النقيض التام في يناير 1943 في ستالينجراد . حيث وقعت الهزيمة بسبب رجل يفتقد للشجاعة لم يكن قادراً على مواجهة الخطر بعزم أو تصميم يجعله يقول : " أنا لن أستسلم ، سأقف مكاني حتى أنتصر " لقد كان منهاراً معنوياً و بدنياً ، و أضاع كل شئ .

بعد ذلك بعام تعرضت فرق " فايكنج " و " فالونيا" من سرايا دفاع للتطويق بنفس الطريقة في تشركاسي . و لكون كارثة ستالينجراد مازالت واردة على خواطر الجنود كان بالإمكان أن يصير جنودنا مادة خصبة للوقوع في الفوضى . و فوق كل ذلك أصبت إصابة عميقة ألزمتني الفراش و وصلت حرارتي لـ 102 درجة فهرنهايت .

كقائد في فرقة " فالونيا " بسرايا الدفاع عرفت أن كل ذلك لن يفضي إلى رفع المعنويات . نهضت و قدت الهجوم بعد الهجوم لمدة سبعة عشر يوماً لكسر الحصار ، و خضت في عدد كبير من التلاحمات الجسدية ، و أصبت أربع مرات لكنني لم أتوقف عن القتال أبداً . رجالي سلكوا ذات المسلك و أكثر بكثير . و أخيراً تم كسر الحصار بفضل شجاعة و روح سرايا الدفاع .

بعد ستالينجراد - و عندما إعتقد الكل أن الأمر إنتهى – إنهمرت القوات السوفييتية على أوكرانيا و أوقفتها سرايا الدفاع و أردت بها قتيلة على الطريق . و إستعادت سرايا الدفاع مدينة خاركوف – بأوكرانيا – موقعةً بالقوات السوفييتية خسائر فادحة و هزائم عدة . و بعدها حولت سرايا الدفاع الموقف إلى الإنتصارات .

نفس طاقة الشجاعة كانت حاضرة عند إنزال النورماندي – إنزال بحري نفذه الحلفاء شمال فرنسا في يونيه 1944 – حيث أطلق عليهم الجنرال جورج باتون – من الجيش الأمريكي – إسم " فرق سرايا دفاع الفخر " . لقد كانت سرايا الدفاع العمود الفقري للمقاومة الألمانية في النورماندي ، و قال الجنرال الأمريكي أيزنهاور : " إن سرايا الدفاع قاتلت بمعنى الكلمة حتى الرجل الأخير " .

لو لم يكن سلاح سرايا الدفاع موجوداً لإكتسح السوفييت أوربا في 1944 ، و لكانوا قد وصلوا باريس قبل الأمريكيين بفترة طويلة . نجحت بطولة سلاح سرايا الدفاع في إيقاف القوة السوفييتية الساحقة عند موسكو و خاركوف و تشركاسي و تارنبول الأوكرانية . و خسر السوفييت قرابة الإثنى عشر شهراً . بدون مقاومة سرايا الدفاع لوصل السوفييت إلى شاطئ النورماندي بشمال فرنسا قبل أيزنهاور .

شعر الناس بعرفان شديد تجاه الشباب اليافعين الذين ضحوا بأنفسهم ، فمنذ النظام الديني العظيم في العصور الوسطى لم تظهر مثل تلك البطولة و إنكار الذات . في ذلك القرن الذي تسوده المادية تقف سرايا الدفاع كشعلة براقة من الروحانيات .

ليس لدي شك بأن تضحيات و تقديمات سلاح سرايا الدفاع الخيالية ستكون لها قصائدها الشعرية الملحمية مثل أشعار فريدريك شيلر – شاعر ألماني إشتهر بقصائده الملحمية و عاش من 1759 حتى 1805 . إن العظمة و المحنة هما السمتان المميزتان لسلاح سرايا الدفاع .

أسدل ستار الصمت على سلاح سرايا الدفاع عقب الحرب ، و لكن الآن عدد أكبر من الشباب يعرفون عن وجوده و إنجازاته . و تزداد شهرته و يزداد طلب الشباب على معرفته . خلال مئة عام قد يكون كل شئ قد نُسي لكن عظمة و بطولة سلاح سرايا الدفاع سوف تُذكر للأبد .

فبهذا تُكافأ الملاحم ....

ليون ديجريل

قسم سلاح سرايا الدفاع

" أقسم أمام أدولف هتلر بإعتباره الفوهرر و مستشار الرايخ الألماني على الولاء و الشجاعة . أقسم أمامه و أمام القادة الذين يعينهم على الطاعة . لذا فليساعدني الله " .

